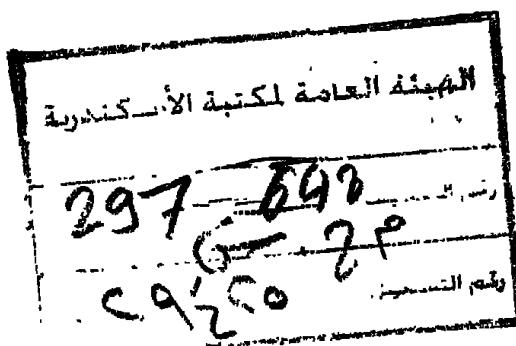


سیرة امیر المؤمنین

سِرِّيَةُ
امير المؤمنين (ع)

عبدالزهراء عثمان محمد



General Organization of the Alexandria Library (GOAL,
Biblioteca Alessandrina)

موقع سيدة الفکر الاسلامی
للتقاویة والاعقول

مِائَةُ الْحُكُمَّ مُخْتَلِفَاتُهُ وَسِيَّلَاتُ
الطبعة الأولى

١٤١٤ - ١٩٩٣ م



حارة حريك - بئر العبد - خلف البنك اللبناني الفرنسي - ٨٢١٢٧٤ :
ص. ب : ١٣ / ٥٩٥٣ شوران - بيروت - لبنان .

مقدمة

«ما لقي أحد في هذه الأمة ما لقيت..»^(١).

الإمام علي (ع)

لم يلاقِ، عظيم في التاريخ البشري، ما لاقاه علي بن أبي طالب (ع)، من ظلم وأثرة في حياته وبعد موته.. .

فإذا كان قد عانى الكثير في حياته، المليئة بالآثار والأمجاد، فإن الظلم قد استبد به، فحرم من أبسط الحقوق وهي : كتابة تاريخية ، بإنصاف وصدق ، بعد وفاته ، ولفترة طويلة.

فبعد رحيل الإمام إلى الرفيق الأعلى ، أخضعت أجيال الأمة الإسلامية ، لعملية مسح دماغي ، ليس لها مثيل ، كي تنسى علياً (ع) ، ودوره الإيجابي الفعال ، في دفع حركة الإسلام التاريخية ، نحو العزة والمجد .. أو لتأخذه في إطار مشوه ممسوخ !!

وحسبك ، بأن عشرات من السنين ، قد سخرت فيها

(١) أنساب الأشراف / للبلاذري ج ٢ ص ١٧٧ .

المنابر - وهي أعظم الأجهزة التربوية والإعلامية لدى المسلمين يومذاك - في سب علي (ع) وتوسيعه تاريخه الفذ.. حقداً على الإسلام، وثاراً لمشركي بلدنا ..

فكان «خطبة الجمعة» مثلاً في العهد الأمري، تفتح بالنيل من الإمام (ع)، بكلمات يأبى التاريخ أن تسطر على صفحاته^(١) وكانت تستد تلك العملية قوى، وأجهزة حكم، ورواة ومحدثون مأجورون، ومؤرخون للسلطين، و... و... محاولة طمس معالم تاريخ الإمام علي (ع) ..

بيد أن تاريخ الإمام علي (ع)، وإن كان تعرض لذلك اللون المخجل، والطمس والتزوير، والتجميل.. فإن أحداً، كائناً من كان، ليس بمقدوره أن يطمس معالمه الأساسية. لارتباطها العضوي بالإسلام الحنيف ومجدده.. فحبل الكذب قصير.. ولا يتحقق المكر السيء إلا بأهله.

وهكذا، فإن الأقلام المأجورة، وتشكيلة المرتزقة، التي حاولت أن تكتب لعلي تاريخاً على هواها، ووفقاً لمصالحها، وما تملك من خلفيات ومرامٍ منقصة، تد أخطأت التقدير، وجهلت أن الحق لا يمكن أن يحجب طويلاً، وأن الزبد لا بد أن يذهب جفاء...

وشعوراً منا بالمسؤولية الشرعية في توعية الأمة، وتبصرها بحقائق دينها وواقع تاريخها المجيد، ونفض تراب التعميم والتضليل عن حقائق أحداث المسيرة التاريخية لهذه الأمة منذ بدايات تاريخها... شعوراً منا بهذه المسؤولية العظيمة نضع هذه الدراسة

(١) راجع نماذج من ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٦١ وما بعدها ط دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩.

حول سيرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ودوره في حركة الإسلام التاريخية بين أيدي المسلمين ..

وللحضرة الفنية قسمت هذه الدراسة إلى أقسام ثلاثة:

ستتناول في القسم الأول منها سيرة أمير المؤمنين (ع)، في عهد رسول الله (ص)، وعهد الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً في قيادة المسلمين.

وفي القسم الثاني: ينصب البحث على دراسة حياة الإمام (ع)، أيام توليه (خلافة) المسلمين، وموافقه البطولية السلة، في مجالات السياسة، والإدارة، والاقتصاد، والإجتماع، وشؤون الحرب والسلم وأمثال ذلك.

أما القسم الثالث: فيتخصص في إبراز الجلامح الأساسية لشخصية أمير المؤمنين (ع) من حيث علاقته بالله تعالى، وعلاقته بالناس من حوله، وعطائه العقائدي، والعلمي، والفكري، الذي أسداه للأمة الإسلامية والناس أجمعين.

والله نسأل التسديد والتأييد، والهداية والتوفيق للعمل من أجل تكريس كل الطاقات، والإمكانات المتاحة في إطار الصراع الفكري القائم، بين أمتنا الإسلامية المجاهدة، وبين خصومها الألداء، حتى تصرخ شريعة الإسلام العظيم .. إنه «سميع مجيب».

المؤلف

١٩٩١/١/١

القسم الأول

وليـتـ الـبـيـتـ الـهـتـيقـ

بزوغ الفجر

في يوم الجمعة، الثالث عشر من شهر رجب المبارك، وقبل بعثة محمد رسول الله (ص) باثنتي عشرة سنة، اشتد المخاض على فاطمة بنت أسد، فجاء بها أبو طالب إلى الكعبة المشرفة، وأدخلها فيها ثم قال لها إجلسي . . . وخرج عنها فرفعت يدي الضراعة إلى العلي الأعلى سبحانه قائلة: «ربِّي إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسول وكتب واني مصدقة بكلام جدِّي إبراهيم الخليل (ع) وإنَّه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلا ما يسرت عليّ ولا دتي»^(١).

ولم يمض على فاطمة غير ساعة حتى أعلنت أنها قد ولدت ذكرًا، وهو أول مولود ولد في الكعبة المشرفة ولم يولد فيها بعده سواه تعظيمًا له من الله سبحانه وإجلالًا^(٢)، وأسرع البشير إلى أبي طالب

(١) كشف الغمة ج ١ - فصل ذكر الإمام علي (ع).

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٣ والكافية للحافظ الكلنجي الشافعي وشرح الخريدة الغريبة في شرح القصيدة العينية لشهاب الدين السيد محمود الألوسي ص ١٥ ونور الأ بصار للشبلنجي ص ٧٦ ومطالب المسؤول ص ١١ لمحمد أبي طلحة الشافعي =

وأهل بيته، فاقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم ..

وتقدم من بينهم محمد^(١) ص فضمه إلى صدره وحمله إلى بيت أبي طالب، حيث كان الرسول في تلك الأونة، يعيش مع خديجة، في دارهما منذ زواجه منها.

وانقذح في ذهن أبي طالب، أن يسمى ولدته «علياً» وهكذا كان ..

وأقام أبو طالب وليمة، على شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام^(٢).

وقد حضر وليمته جمع حاشد من الناس: قدموا التهاني، وعاشوا ساعات من البهجة، أبدوا فيها مشاعرهم الفياضة، وأحساسهم السامية، نحو عميدهمشيخ الأبطح، ولولده المبارك ..

ومرت الأيام سريعة، والوليد المبارك يتقلب بين أحضان والديه: أبي طالب، وفاطمة، وابن عمه محمد (ص)، الذي كان دائم التردد على دار عمه، التي ذاق فيها دفع المودة، وشرب من ينابيع الإخلاص والوفاء الصافية، خلال سنوات صباه وشبابه.

أجل كان محمد (ص) يتعدد كثيراً على دار عمه، بالرغم من زواجه من خديجة، وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل عليها بعواطفه، ويحروطه بعانته) - يناغيه في يقظته، ويحمله على صدره .. ويحرك مهده عند نومه، إلى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية ..

= والمناقب للأمير محمد صالح الترمذى. نقاًلاً عن الغدير ج ٦ من ٣٨ إلى ٢٢ لعبد الحسين الأميني ط ٣ سنة ١٩٦٧ بيروت.

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة / لابن الصباغ المالكي / الفصل الأول ص ١٣ .

(٢) البحارج ٣٥ ص ١٨ .

في كفالة رسول الله (ص):

وبعد مضي ست سنوات على ولادة علي (ع) تعرضت قريش لأزمة اقتصادية خانقة، وقد كانت وطأتها شديدة على أبي طالب، إذ كان رجلاً ذا عيال كثيرة، وكهف يلوذ به المحتاج والفقير، بحكم مركزه الاجتماعي في مكة... أيرضى المصطفى (ص) وبنو هاشم، أن تقسو الحياة على عميدهم؟!

أقبل الرسول (ص) على عمه العباس بن عبد المطلب، وهو أثرى بني هاشم يومها، فخاطبه بقوله: «... يا عم، إن أخاك أبو طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إلى بيته لننخفف من عياله، فتأخذ أنت رجلاً واحداً، وأأخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه...»^(١).

وحظي رأي المصطفى (ص) بالتأييد والرضاء من لدن عمه العباس، فأسرعا إلى أبي طالب، ومخاطبه بالأمر، فاستجاب لما عرضها قائلاً: «إذا تركتما لي عقيلاً وطالباً، فاصنعوا ما شئتما...»^(٢).

فأخذ العباس جعفرأ... .

وأخذ رسول الله (ص) علياً (ع)، وكان عمره يومئذ ستة أعوام^(٣)، وقد قال (ص) بعد أن اختار علياً (ع): قد اخترت من

(١) الفصول المهمة / لابن الصباغ الفصل الأول ص ١٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ١٥١.

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ باب ذكر أن علي بن أبي طالب أول ذكر أسلم ص ٢٨٤، ويختار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٤ وشرح النهج ج ١ ص ١٥.

(٣) في رحاب علي / خالد محمد ص ٤٦ ط ٢ / دار الأندلس بيروت وشرح النهج ج ١ ص ١٥١.

اختاره الله لي عليكم - علياً^(١).

وَنَكِدَا عَاشَ عَلَيْهِ (ع) مِنْذُ نِعَمَةِ أَطْفَالِهِ غَيْرَ كَنْفِ مُحَمَّدٍ (ص)؛
شَاءَ تَحْتَ رِعَابِهِ، وَشَرَبَ مِنْ يَنَابِيعِ مَوْدَتِهِ وَحَنَانِهِ، وَرَبَاهُ وَفَقَأَ لِمَا عَلِمَ
بِهِ تَبَالِي، وَلَمْ يَفْارِقْهُ مِنْذُ ذَلِكَ التَّارِيخِ، حَتَّى لَعْنَقَ الرَّسُولَ (ص)
بِرِبِّهِ الْأَمْلَى ..

عَدْبَلَةُ الْمُخْدَادُ النَّبُوِيُّ:

أَشَاءَ الْإِيمَامَ عَلَيْهِ (ع) إِلَى أَبْعَادِ التَّرِيَةِ الَّتِي حَظِيَّ بِهَا مِنْ لَدُنْ
الْمَرْسُولِ (ص)، وَعِدَاهَا، وَعَمَّتْهَا، وَذَلِكَ فِي خُطْبَتِهِ الْمُعْرَفَةِ
الْمُتَّسِمَةِ، إِذَا جَاءَ فِيهَا مَا نَصَّهُ: «وَقَدْ عَلِمْتُ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْقِرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزَلَةِ الْخَصِيقَةِ، وَضَعَنِي فِي
حَجْرِهِ، وَأَنَا وَلَدٌ، يَضْمِنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنِنِي فِي فَرَاسِهِ، وَيَهْسِنِي
جَسْدِهِ، وَيَشْمَنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضِعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَلْقَمُنِي وَمَا وَجَدَ لِي
كَذِبَهُ فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةٍ فِي فَعْلٍ.

«وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مِنْ لَدُنِ إِنْ كَانَ فَطِيمًا،
أَعْظَمُ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمِنْ حَاسِنِ أَخْلَاقِ
الْعَالَمِ، لِيَلِهِ وَنَهَارِهِ، وَلَقَدْ كَثُرَ أَتَبَاعُ الْفَصِيلِ أَثْرَ أَمَّهُ، يَرْفَعُ لِي
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَنْتَلَاقِهِ عَلِمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتَداءِ بِهِ».

«وَلَقَدْ كَانَ يَجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةِ (بَحْرَاءِ) فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ
يَجْمِعْ بَيْتُ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشْمَرَ رِيحَ
النَّبُوَّةِ ..»^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحليفة ج ١ ص ١٥ نقلًا عن البلاذري والاصفهاني.

(٢) نهج البلاغة ترجمة صبحي "الطباطبائي" ط ١٩٧١ ص ٣٠٠.

والذي يستقرى هذا النص، يامعan، يتجلى له أن علياً (ع) قد حظي برعاية الرسول (ص) وحده، وإيثاره أيام طفولته، فكان يمضغ الشيء ثم يضعه في فمه، ويضعه في حجره، ويضممه إلى صدره، ويعامله كما لو كان ولده الحبيب... .

أما في صباه، وشبابه، فقد أنصب جهاد رسول الله (ص) على تكوين شخصيته: إذ كان يأمره بالإقتداء به، وسلوك سبيله، وفي كل يوم يرفع له من أخلاقه علمًا وعلىّ كان يتبع أثره، أولًا بأؤلئك... كما يصف ذلك في حديثه.

ولهذا وذاك، فإن من خطأ الرأي، أن لا يعتقد إيمانه في مسألة اختيار علي (ع) من لدن الرسول (ص) كانت هادفة (انتداب)، نسي يأتي صورة لرسول الله (ص) في فكره وموافقه وشتي ألوانه (مشيك)، بل حتى في مشيتـه^(١).

فلقد كان الإمام (ع) من الصفا الروحي، وإن استقامة الخلقيـة، وفقاً لما علمه رسول الله (ص) بحيث كانـ، تشكـ، لهـ الكثـيرـ من حجب المستقبل المستور، فـهاـ هوـ يقولـ: «ولـقدـ سـمـتـ رـنـةـ الشـيـطـانـ حـينـ نـزـولـ الـوـحـيـ عـلـيـهـ، صـلـوـاتـ اللـهـ عـلـيـهـ، تـكـلـتـ بـهـ سـوـلـ اللـهـ مـاـ هـذـهـ الرـنـةـ فـقـالـ: هـذـاـ الشـيـطـانـ قـدـ آـيـسـ مـنـ عـبـادـهـ، إـنـكـ نـسـمـعـ مـاـ أـسـمـعـ وـتـرـىـ مـاـ أـرـىـ إـلـاـ أـنـكـ لـسـتـ بـنـبـيـ، وـبـنـحـنـاتـ وـزـيـنـهـ، إـنـكـ، اـهـلـ خـيـرـ...»^(٢).

فإن الشوط الذي قطعه في منهـ، التقربـ إـلـيـهـ، بـمـوـازـنـ، وامـثالـ أـوـامـرهـ، وتجـسيـدـ مـتـطلـباتـ بـرـالتـهـ، رـسـمـهـ لـهـ، بـهـ يـبـرـ

(١) علي بن أبي طالب عبد الفتاح شبهة، من: ١، ٣٩.

(٢) نهج البلاغة ص ٣٠١ (المخطوب: الزاد، تفسير: صبيحي، ١٤١٧).

للنبوة، وهو مقام، لا يناله إلا من قطع شوطاً بعيداً، باتجاه قمة الفضيلة والتقوى، فلم يفصله عن الرسول (ص) إلا درجة النبوة، فارتقى منصة الوزارة بحق وجدارة، وهكذا كان علي . . .

«في كنف الوحي»

وإذا كان الإمام (ع) قد عاش ست سنوات، في أحضان والديه وإخوته، وكان لرسول الله (ص) دور بارز في رعايته، طوال تلك السنوات التالية من عمره (ع). فإن رعاية علي وتربيته، صارت من اختصاص المصطفى (ص) دون منازع، منذ السنة السادسة، حيث انتقل (ع) إلى داره (ع) على أثر الصائفة المالية التي ألمت بأبيه أبي طالب، كما ذكرنا.

ومنذ تلك السن المبكرة عاش علي (ع) مع رسوله الله (ص) في بيته قبل الدعوة، حيث قضى تحت رعايته سنوات الصبا وسنوات التفتح على الحياة، وخلالها عاش الإمام (ع) كل التطورات التي اكتفت حياة الرسول (ص) . . .

فعلي لم يحظ بالتربيـة المأـلوفـة، التي يـحظـى بها غالـباً طـفـلـ من لـدـنـ أـبـيهـ، أو صـغـيرـ من لـدـنـ أـخـيهـ الـأـكـبـرـ، وإنـماـ كانـ أـعـدـادـهـ وـتـرـبـيـتـهـ من نوعـ خـاصـ، وـحـسـبـكـ أنهـ كـانـ يـتـبعـ مـحـمـداـ (صـ)ـ حتـىـ فيـ سـاعـاتـ اختـلاـثـهـ فيـ غـارـ حـراءـ . . . وـيـشـهـدـ التـطـورـ الـرـوـحـيـ وـالـفـكـرـيـ الـذـيـ كانـ رـسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ يـمـرـ فـيـهـ، وـهـاـ هـوـ (عـ)ـ، يـسـتـذـكـرـ تـلـكـ الأـيـامـ الـخـالـدـةـ وـذـلـكـ الشـطـرـ الـحـسـاسـ منـ حـيـاتـهـ، فـيـقـولـ: «. . . ولـقـدـ كـانـ يـجاـوـرـ فـيـ كـلـ سـنـةـ بـحـراءـ، فـأـرـاهـ، وـلـاـ يـرـاهـ غـيرـيـ»^(١)ـ كـمـاـ أـلـمـحـنـاـ إـلـىـ ذـلـكـ . . . أـجـلـ كـانـ (عـ)ـ يـعـيـشـ التـحـولـ الـرـوـحـيـ الـهـائـلـ، الـذـيـ شـهـدـتـهـ نـفـسـ

١) الخطبة القاسعة من نهج البلاغة ص ٣٠١ تبوب د. صبحي الصالح.

المصطفى (ص)، حتى أشرق عليه وحي السماء المبارك.

ولقد كان للمستوى الروحي والخلقي البعيد المدى الذي سمت إليه نفس علي (ع)، أن شعر بالتحول الكبير، الذي جرى في عالم الغيب، من انهزام للشيطان، بعد يأسه من أن يُعبد، فور بعثة الرسالة الخاتمة... فلقد شهد علي إرهاصات النبوة التي شهدتها أستاذة ومعلمه الرسول (ص)، وعاشرها كما عاشهما بملء كيانه، حين سطع الهدى، وتلقى رسول الله(ص) أول بيان من السماء، لتتكليفه بحمل الرسالة.

﴿إِقْرَأْ يَا سَمِّ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ . إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمَ . الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَ عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

(العلق ١ - ٥)

أول المؤمنين

حين تلقى الرسول (ص) بيان التكليف الإلهي، بحمل الرسالة، عاد إلى بيته فأطلع علياً^(١) (ع)، بأمره فاستقبله (ع) بالتصديق واليقين، كذلك فعلت خديجة الكبرى، فانبثق من أجل ذلك أول نواة مجتمع المتقين في الأرض.

على أن يجدر بنا، أن نعي أن علياً (ع) لم يدعه الرسول (ص) إلى الإسلام كما دعا غيره فيما بعد، أبداً، لأن علياً (ع) كان مسلماً على فطرة الله تعالى، لم تصبه الجاهلية بأوضاعها، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها، وكل الذي كان: أن علياً (ع) قد أطلاعه الرسول القائد (ص) على أمر دعوته ومنهج رسالته، فأعلن تصديقه وأيقن بالرسالة الخاتمة، وياذر لتلقي توجيهاته المباركة تلقي تنفيذ وتجسيد..

(١) إضافة إلى كتب التاريخ التي تصرح بأن علياً أول الناس إسلاماً فهناك عدة أحاديث عن رسول الله (ص) تجسد هذه الحقيقة راجع المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ومناقب الخوارزمي وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٦ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥ وسيرة زيني دحلان في هامش الحلبة ج ١ ص ١٨٨ : نقلًا عن الغدير ج ٣ ص ٢٢ - ٢٤٢ ط ٣ / ١٩٦٧ بيروت.

ولهذا يقال (كرم الله وجهه).

فإن علياً (ع) كان مؤهلاً - كما بینا في مطلع الحديث - لإتباع رسول الله (ص) في دعوته، لأنه (ص) كان قد أنشأ شخصيته، وأرسى لبناتها الأساسية.

ولا أظني أضيف جديداً إذا قلت أن الإمام (ع) لم يفاجأ بأمر الدعوة المباركة، طالما عاش في كنف رسول الله (ص) وتفيأ ظلاله، فال المصطفى (ص) - كما نعلم - كان يعبد ربه تعالى وينأى عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكيه وعلاقاته، قبل أن ينزل عليه وحي السماء، بأول سورة من القرآن الكريم^(١).

وعلي (ع) كان مطلاً على عبادة أخيه رسول الله (ص) وممارساته وتحولاته الروحية والفكرية، فكان يتبعه، وينهج نهجه، ويسلك سبيله، في ذلك السن المبكر من عمره ..

أما حين فاتحه رسول الله (ص) بأمر الدعوة الإلهية، فقد لبى النداء بروحه ووعيه وكل جوارحه، دون أن يياغث في الأمر، وإن كان هناك جدة في المسألة، فإنما هي في الكيفية التطبيقية للرسالة ودرجة المسؤولية الواجب تحملها أو تفاصيل الأحكام.. وحين بلغ رسول الله (ص) بأمر التكليف الإلهي لحمل الدعوة المباركة، بلغ كذلك، أن تنصب دعوته أولاً على الخاصة من أهل بيته (ع)، وقد أشار ابن هشام في سيرته لذلك بقوله: «فجعل رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم يذكر ما أنعم الله عليه، وعلى العباد به، من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله ..»^(٢). ومن أجل ذلك فاتح علياً

(١) يراجع كتابنا / سيرة المصطفى (ص) ط بيروت.

(٢) ج ١ ص ٢٥٩ مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٦ تحقيق مصطفى السقا وجماعة.

وخدية بالدعوة - كما ذكرنا - وبعدهما زيد بن حارثة، وبقي أمرها طي الكتمان لا يعلمه غير هؤلاء، وبعض الخاصة من أهل البيت (ع).

وقد أشار الإمام علي بن الحسين (ع) في حديث له حول إسلام جده علي بن أبي طالب (ع) بقوله: «... ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله (ص) وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله وبرسوله وإلى الصلاة ثلاث سنين»^(١).

ولأسبقيته في حمل الدعوة أشار الإمام (ع) في حديث جاء فيه «... ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآلله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة...».

وبعد أن تخطت الدعوة مرحلة دعوة الخاصة من أهل البيت (ع) جاءت مرحلة دعوة من يتوسم رسول الله (ص) فيهم القبول لدعوته، فانخرط عدد من الناس في سلك الدعوة، كان أغلبهم من الشباب، وكانت لقاءاتهم من أجل قراءة القرآن الكريم، والتعرف على أحكام دين الله تعالى تتم بصورة سرية..

أول الدعاة:

ثم أذن الله عز وجل لرسول (ص) بدعة عشيرته الأقربين من

(١) الروضة من كتاب الكافي جـ ٨ حديث إسلام علي (ع) وهناك أحاديث بهذا الصدد يرويها كل من النسائي وابن ماجة والحاكم والطبراني في تاريخه والرياض التضرة جـ ٢ ص ١٥٨ وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٠٠ وغيرها راجع ٢٢١ - ٢٤٠ ج ٣ من الغدير، على أن تلك الروايات تشير إلى أن إيمان علي وعبادته قد سبق فيها الناس بسبعين أو تسعين، وهي لا تخالف القول بثلاث سنين أبداً فإن المراد بأنه سبق بالتصديق بالإسلام بعد الدعوة بثلاث سنين وسبق سواه بالإيمان والتبع مع الرسول (ص) في مرحلة الأعداد التي أشار إليها في خطبة القاصدة بستونات أخرى ..

بني هاشم، ليوسّع من مدار الدعوة بذلك، فقال تعالى :

».. وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَيْنَ. وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بِرِيَةٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ«.

(الشعراء / ٢١٤ - ٢١٦)

فلما تلقى رسول الله (ص) أمر ربه الأعلى بإذار عشيرته الأقربين، أمر علياً (ع) أن يدعوه إلى طعام عنده، فحضروا إلى دار رسول الله (ص) وكانوا أربعين رجلاً.

ويعد أن تناولوا طعامهم، بادرهم الرسول (ص) بقوله «.. يا يبني عبد المطلب، أن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال : «وأنذر عشيرتك الأقربين» وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والجم، وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فمن يجيئني إلى هذا الأمر ويوازرنني عليه، وعلى القيام به يكن أخي ووصيي وزيري ووارثي وخليفي من بعدي ..»^(١).

وبين تنديد أبي لهب، وتحذيره للرسول (ص) من الإستمرار

(١) أخرج الحديث كل من: ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في سنته وفي دلائله، والشعبي، والطبراني في تفسيرهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبارين، وأخرجه الطبراني في تاريخ السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨١، والطحاوي، والضياء المقدسي في مختاره، وأحمد بن حنبل ج ١ ص ١١١ وص ١٥٩، والنمسائي في خصائصه ص ٦، وكنز العمال ج ٦ الحديث رقم ٦٠٠٨، والمفيد في إرشاده في مناقب علي (ع) وغير هؤلاء كثير وكلهم أوردوه بالفاظ متقاربة نقلًا عن المراجعات للسيد شرف الدين حن ١٢٤ وما بعدها.

بالدعوة من جهة، وتأييد أبي طالب له ومخاطبته الرسول (ص) بقوله: «فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك»^(١).

أقول من خلال التأييد، الذي أعلنه أبو طالب، والتنديد البليد الذي أعلنه أبو لهب، وقف علي بن أبي طالب (ع) وكان أصغر الحاضرين سنًا فقال: «أنا يا رسول الله أوازرك على هذا الأمر» فأمره الرسول (ص) بالجلوس، ولما لم يجبه أحد نهض علي ثانية والرسول (ص) يجلسه ..

وأعاد الرسول (ص) دعوته إلى قومه، فلم يجبه أحد، وكان صوت علي (ع) وحده يلبي الدعوة، ويهدى بالمؤازرة والنصرة، فمزق صمتهم بصلابة إيمانه، وقوة يقينه، وحيث لم يجب رسول الله (ص) أحد للمرة الثالثة.. التفت إلى مجبيه الوحيد، قائلاً: «اجلس فانت أخي ووصيي وزيري ووارثي وخليفي من بعدي»^(٢).

فنهض القوم من مجلسهم، وهم يخاطبون أبا طالب: «ليهنتك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك»^(٣).

مواجهة الجاهليين:

ودخلت الدعوة إلى الله مرحلة المواجهة - بعد إنذار العشيرة - وأول من قاد رد الفعل أبو لهب وزوجته، وكانا يعترضان رسول الله (ص) ويزرعان المشاق في طريقه، لإثنائه عن دعوته المباركة ولكن دعوة الله سبحانه مضت، تشق طريقها في المجتمع الجاهلي

(١) صور من حياة محمد / أمين دويدار ص ١٤٠ ، وفقه السيرة / للغزالى ص ١٠٢ - ١٠٣ ، يراجع الهاشم أعلاه .

(٢ - ٣) صور من حياة محمد / أمين دويدار ص ١٤٠ ، وفقه السيرة / للغزالى ص ١٠٢ - ١٠٣ ، يراجع الهاشم رقم (١) ص ٢٢ من هذا الكتاب.

المتحجر ذاك، فقد انتقلت بعد إبلاغ العشيرة إلى الدعوة العامة، حيث وقف رسول الله (ص) عند البيت الحرام، وخاطب الجموع بأنه رسول الله إليها^(١) ..

وبعد الدعوة تزايد عدد المؤمنين وأغلبهم من الشباب ومن شتى قطاعات المجتمع المكي ..

وكان لتزايد عدد المؤمنين برسالة الله تعالى أثر بالغ على موقف الجاهلين، فقد سلكوا أسلوب الإرهاب للرعييل الأول من المؤمنين، فكانت كل قبيلة وكل بيت يتصدى لمن فيه من المؤمنين بالتعذيب والإضطهاد^(٢)، والمؤمنون يزدادون صموداً وإيماناً بصوت الحق والهدي، الذي دوى به صوت رسول الله (ص) فرددته النفوس الظماء إلى الخير والإنعتاق ..

ويسبب التعذيب الجسدي الوحشي، الذي صب على المؤمنين، كانت هجرة الحبشة التي قادها جعفر بن أبي طالب والذي يكبر علياً (ع) بعشر سنين، وكان لجعفر وحكمته الأثر الفعال في إفشال مخطط قريش في إثارة ملك الحبشة على المهاجرين، لطردهم من بلاده^(٣) ..

أبو طالب يتصدى لاعداء الرسالة:

وإذا كانت قريش قد تصدىت للسابقين من المؤمنين بالعنف والإضطهاد، فإنها ليست قادرة على التصدي لرسول الله (ص)، قائد الدعوة ورسلها، بنفس المستوى، لعلمتها أن أبو طالب شيخ الأبطح،

(١) يراجع القسم الأول من كتاب سيرة المصطفى (ص) ط بيروت للمؤلف.

(٢) و (٣). - المصدر السابق - يراجع القسم الأول أيضاً.

يتحول دون تحقيق أي لون من ألوان التصدي والإرهاب لرسول الله (ص).

فأبو طالب، رجل مرهوب الجانب، ذو سطوة ونفوذ، ليس فيبني هاشم وحدهم، وإنما في قبائل مكة كلها.

وقد كان الرجل سند الدعوة وجدارها الشامخ، الذي تستند إليه منذ تباشير فجرها الزاهر.. وقريش، كانت تدرك ذلك تماماً.

ومن أجل ذلك، سلكت أسلوب المفاوضة، والمساومة والإغراء: تفاوض الدعوة والرسالة في شخص الرسول (ص) مرة، وفي شخص أبي طالب مرة أخرى.. فحين كانت تعرض المال والسلطان على رسول الله (ص)، مقابل تركه الدعوة، والتنازل عن الرسالة، فإنها كانت تفاوض أبا طالب، وتحاوره بشأن دعوة الرسول (ص)، طالبة أن يستعمل نفوذه، بالضغط عليه، لترك رسالته، وتهدهد به استخدام الصراع بينه وبين قريش كلها، إذا لم يخل بينهم وبين رسول الله (ص)، ويكتف عن إسناده له.

ييد أن أبا طالب، كان يعلن إصراره على التزام جانب رسول الله (ص)، والذود عنه، مهما غلا الثمن، وعظمت التضحيات.

أبو طالب في الحصار مع رسول الله (ص):

ولما استبد اليأس بقريش، من أن أبا طالب لن يفرط بمحمد (ص) ودعوته.. عقد زعماؤها اجتماعاً طارئاً في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب، التي اعتادت قريش أن تجتمع فيها للتشاور في القضايا المصيرية من حياتها.. وتوصل المجتمعون إلى قرار، يقضي بحصار بنى هاشم، ومن يلوذ بهم، حصاراً اقتصادياً واجتماعياً، ينصب على عدم مبايعة بنى هاشم أو الشراء منهم، أو

تزويجهم، أو التزوج منهم، وقد ذيل قرار المقاطعة ذلك بأربعين توقيعاً لزغماء قريش... .

ودخل بنو هاشم شعب أبي طالب، بناء على أوامر من عميدهم أبي طالب ذاته، حماية لأنفسهم من سطوة قريش، وأصبح من المعترض عليهم الخروج إلى مكة، إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة من كل عام. وبالنظر لتفاقم الموقف بينبني هاشم وقريش، شدد أبو طالب الحراسة على الشعب، بعد تحصينه، خشية هجوم قريشي مباغت.. .

واستمر الحال بيني هاشم - بما فيهم رسول الله (ص) وعلى ابن أبي طالب (ع) هكذا ثلاثة سنين - وقيل أربعاً - وقد عانوا من شفاف العيش، والحرمان والفاقة، وما يدمي القلب، ويحز في النفس.

ولك أن تقدر حجم ما عانى المحاصرون من ضيق، إذا علمنا أن قريشاً قد شدّدت عليهم الحصار بشكل كامل، فقطعت عنهم التموين، وكانت غالباً ما تضاعف أثمان البضائع، ليعجز بنو هاشم عن شرائها ، بشكل أدى بهم إلى المجاعة الحقيقة، حتى أن صرخ أطفالهم وتتصورهم جوعاً كان يسمع من بعيد.. .

ويعد أن تصرمت السنون الثلاث، بعسرها وآلامها وفاقها، أخبر رسول الله (ص) عمه أبو طالب أن صحيفه المقاطعة التي كتبتها قريش قد أنت دودة الأرض على ما فيها من ظلم وقطيعة فأكلتها، إلا عبارة «باسمك اللهم» فأسرع أبو طالب إلى قريش، قائلاً:

«... إن ابن أخي أخبرني أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فأكلتها، غير إسم الله، فإن كان صادقاً نزعم عنه سوء رأيكم،

وإن كان كاذباً دفعته إليكم ..^(١).

قالوا: قد أنصفتنا.. ثم فتحوها، فإذا هي كما قال.. ووقع نزاع حاسم بين قريش، نتج عنه تمزيق الصحيفة، وانتهاء المقاطعة، ورفع الحصار عن بنى هاشم، وقد كان لإفشال مشروع الحصار بذلك الشكل الإعجازي الجلي أثره في كسب الدعوة للمؤيدين، والأنصار في مكة..

أرأيت كم من التضحيات في سبيل رسالة الله، بذلك بيت علي (ع)?

إذا كان علي أول من لبى صوت الحق، وظل مجاهداً في الصف الأمامي من الجبهة الإسلامية طوال حياته، فإن أباه قد ضحى حتى بمكانته الإجتماعية التي كان يحظى بها من لدن قريش، وذاق المحن من أجل رسالة الله تعالى، حتى كان بحق الدرع الساقي للرسول (ص)، والدعوة في حين كانت المكانة الإجتماعية: حلم الرجال، ومتغاظهم في ذلك المجتمع القبلي ..

وهكذا كان جعفر بن أبي طالب، أخو علي (ع) الذي دشن حياته الإسلامية بقيادة موكب الهجرة الأولى إلى الحبشة وتوجهها بالشهادة في غزوة مؤتة.. ففاز بلقب الطيار مع الملائكة في الجنة كما أخبر رسول الله (ص) بذلك^(٢) ..

(١) بحار الأنوار ج ١٩ باب دخول الشعب، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٧٣ ، ١٩٢ ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٤ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٥١ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، السيرة الخلبية ج ١ ص ٣٥٧ - ٣٦٧ . الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٦ .. نقلأً عن الغدير ج ٧ ص ٣٦٣ - ٣٦٦ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢١ باب غزوة مؤتة، ابن سعد في طبقاته ج ٤ ص ٢٣ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ ، ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٧ ، البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٦ =

ولعظيم حب رسول الله (ص) لجعفر، إنه حين قدم المدينة المنورة من الحبشة، وذلك يوم فتح خير، استقبله الرسول (ص) وقبل ما بين عينيه، وهو يقول (ص): «ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحاً: بقدوم جعفر؟ أم بفتح خير»^(١).

إلى دار الإسلام:

.. وفي خضم الصراع العنيف، الناشب بين الدعوة الإلهية المباركة، والجاهلية الرعناء، فجع الإسلام بفقد مؤمن قريش: أبي طالب (رض) فاهتز رسول الله (ص) للحادث الأليم، وعلم أن قريشاً ستعمل على تصعيد حملتها على الدعوة، وعلى شخصه الكريم بالذات ..

وإذا كانت قريش تخش أبا طالب، ومركزه الاجتماعي، فيما مضى، فقد صفا لها الجو بعد موته، وها هو رسول الله (ص) يفقد سنده الشامخ، ويصاب بعده بفاجعة أخرى، لا تقل في تأثيرها عليه عن الأولى، فقد توفيت زوجته الوفية خديجة، حتى دعا العام الذي فقدهما فيه «عام الحزن».

وللأهمية البالغة، التي يحتلها أبو طالب، في سير الحركة التاريخية للدعوة الله تعالى، صرخ رسول الله (ص) بقوله:
«ما زالت قريش كاعدةٌ عني حتى مات أبو طالب»^(٢).

= الاستيعاب ج ١ ص ٨١، نقلًا عن مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني باب ذكر مقتل جعفر بن أبي طالب ص ١٠ وما بعدها ط ٢ / ١٩٧٠.

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٢٢: تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٨٤، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٦٢٢، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٢: «نقلًا عن الفدير ج ٧ ص ٣٧٦، كشف الغمة في معرفة الأئمة ج ١ ص ١٦ ... وغيرها».

وتصعدت قريش حملتها على رسول الله (ص) والسابقين من المؤمنين، فاتحة رسول الله (ص) للبحث عن أرض غير مكة، تستقر عليها دعوة الله، فتنمو عليها شجرة الهدى، وراح يتصل بالقبائل، ويعرض أمره على الناس في أطراف مكة... ثم زار الطائف، واتصل بزعماء قبائلها، فلم يستجب له أحد ذو أثر اجتماعي، بيد أن اليأس لم يتسرّب إلى نفسه، واستمر في عرض نفسه على الناس من خارج مكة، حتى التقى في موسم الحج بنفر من أهل يثرب، وفاتهاهم بأمر الدعوة، فاستجابوا له، ولبوا دعوة الله، وعادوا يحملون كلمة الله إلى قومهم.

وفي اليوم التالي قدم منهم اثنا عشر رجلاً، بياعوه على الإيمان وحمل الرسالة، فأرسل لتعليمهم أحكام دين الله تعالى: مصعب ابن عمير، فمكث فيهم سنة كاملة، ويدعوهم إلى الله، ويؤدّبهم بتعاليم رسالته، ويقرئهم القرآن الكريم فدخل الكثير من الناس في الإسلام، وأستجابوا لنداء الدعوة المباركة..

وفي موسم الحج حضر منهم إلى مكة وفد كبير يقوده مصعب بن عمير، فالتقوا برسول الله (ص)، وبياعوه على النصرة أن هو هاجر إلى بلدتهم..

وتنزل أمر الله تعالى يدعو المسلمين إلى الهجرة، فزحفت مواكب المهاجرين صوب الدار الجديدة مخلفين وراءهم السال والوطن وعلاقة الدم والقربي.

ولئن كانت الدعوة قد أوشكت على الدخول في مرحلة جديدة من مراحل مسيرتها العتيدة، فإن قريشاً، قد اجتمعت في دار الندوة للتشاور بشأن رسول الله (ص) بالذات، فتوصل قادتها إلى قرار يقضي

باغتيال جماعي لرسول الله (ص) يتولاه من كل قبيلة رجل منها وأن ينفذ الإغتيال ليلاً.

وكشف جبريل (ع) لرسول الله (ص) أوراق الجريمة التي أجمعوا على اقتراحها.

﴿وَإِذَا يُمْكِرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنْتُشِرُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

(الأفال / ٣٠)

في فراش رسول الله (ص):

وأبلغ جبريل (ع) رسول الله (ص) بأمر الله تعالى بالهجرة إلى المدينة المنورة.. وحين انتشر الظلام، أسرع المتآمرون لتطويق بيت الرسول (ص) للحيلولة دون خروجه.. وعندها جاء دور علي (ع) حيث أمره رسول الله (ص) أن ينام على فراشه، ويلتحف بيبردته، وخرج صلى الله عليه وآله من بينهم وهو يتلو قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ﴾.

(يس / ٩)

فلم يشاهده أحد من المشركين:

وعند طلوع الفجر اقتحم المتآمرون دار رسول الله (ص) لتنفيذ جريمتهم واتجهوا لغرفته، فوثب علي (ع) في وجوههم قائلاً: ما شأنكم؟

قالوا: أين محمد؟

قال «أجعلتمني عليه رقيباً؟ ألسنتم قلت نخرجه من بلادنا فقد

خرج عنكم . . .^(١).

فانقلبوا خاسرين وياؤوا بالفشل الذريع . . . ثم بدا لهم أن يحشو عن الرسول (ص) ويجدوا في طلبه في الجبال والوديان، واصطحبوا لذلك أبا كرز، وهو رجل شهير بعلم معرفة الأثر، وبالفعل استطاع أبو كرز أن يتبع أثر الرسول (ص) حتى أوصل القوم غار جبل «ثور» مؤكداً لهم أن محمداً (ص) قد وصل في نهاية شوطه إلى ذلك الغار، وأذن فلا بد أن يكون قد عرج إلى السماء أو اختفى تحت الأرض^(٢)، وحيث أن الله سبحانه قد بعث عنكبوتاً فنسجت بيته لها على باب الغار، فإن المتأمرين لم يخطر ببالهم أن الرسول (ص) في داخل الغار الذي يقفون على بابه، وهكذا صرف الله عقولهم فولوا الأدبار . . .

وعند حلول الليلة الثانية أسرع علي (ع) وهند بن أبي هالة إلى الغار للإتصال بالرسول (ص) تحت جنح الظلام^(٣) وتحاور رسول الله (ص) مع علي (ع) حول مستلزمات الهجرة . . فأوصاه بأداء الأمانات إلى أهلها، وباللحوق به (ص) بعد ذلك وأوصاه أن يحمل معه فاطمة الزهراء (ع) ومن معها من نساء أهل البيت . .

انتظار في قبا:

ويعد أيام من مسيرة الركب وصل الرسول (ص) إلى «قبا» حيث نزل عند كلثوم بن الهدم أحد زعماءبني عمرو بن عوف^(٤) وهناك أقام الرسول (ص) مسجد قبا، ومكث ينتظر قدوم علي بن أبي طالب (ع)^(٥)

(١) و(٢) تفسير سورة الأنفال آية ٣٠ يراجع الميزان ج ٩ بحث روائي ص ٨٠.

(٣) أعيان الشيعة ج ٣ ط / ٣ ص ١٥٥ .

(٤) بحار الأنوار ج ٩ والروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٣٩، للكليني ط / طهران.

(٥) الفصول المهمة في معرفة الأئمة / ابن الصباغ المالكي «فصل في شيء من

شجاعته ص ٤٢٨ .

إذ كتب إليه كتاباً يأمره بالمسير إليه، وقد حمل الكتاب أبو وافد الليثي، وحيث أن علياً (ع) قد أدى ما أوصاه به رسول الله (ص) قبل هجرته وأعاد الأمانات التي كانت لدى الرسول (ص) إلى أهلها، فقد عجل باللحوق بأخيه رسول الله (ص) فبادر إلى إعداد ركائب لحمل النساء فاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب.

ثم أمر ضعاف المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى وخرج هو والفواطم وأيمن وأبو وافد الليثي نهاراً^(١).

ولم تمض غير أيام قليلة حتى وصل ركب علي والفواطم إلى قبا، فاستقبلهم رسول الله (ص) وعانق علياً (ع) وبكي رحمة به - وذلك لما ألم به من إرهاق وأذى.

وبعد مقدم علي (ع) على رسول الله (ص) بيومين ارتحل الرسول (ص) وبصحبته علي (ع) ومن معه من المهاجرين إلى المدينة المنورة . . .

وكان الركب النبوي يستقبل استقبالاً مهيباً عند كل حي يمر به . . حتى إذا وصل الرسول (ص) إلى المكان الذي أقيم مسجده فيه توقفت راحلته عن المسير فنزل عنها، وأقام ضيفاً عند أبي أيوب الأنصاري (ره) . . ثم بادر إلى بناء المسجد والدور الخاصة به وبأهل بيته، وفي طليعتهم علي (ع) إذ أقيمت حجرته بجنب حجرة عائشة^(٢).

(١) و(٢) أعيان الشيعة ج ٣ ط ٣ ص ١٥٥ «هجرته إلى المدينة».

مهمات ما بعد الهجرة

استقبلت المدينة عهداً جديداً من تاريخها بوصول رسول الله (ص) إليها حتى أرسى (ص) قواعد دولة القرآن، وعمل على تحسينها لتكون مناراً يشع نور الحق إلى الأفق فيجدد ظلام الجاهلية الحالك ..

ولذا كانت الدعوة بعد الهجرة قد امتلكت دولة وفرت لها الكثير من شروط الحماية والتحسين، فإن ذلك لا يعني بحال أن مكر الأعداء وخططهم لإطفاء نور الإسلام قد انتهى بل العكس هو الذي كان، فالجاهلية بقوتها المتعددة وواجهاتها الكثيرة قد أجمعت على حرب الإسلام ودولة الإسلام، وقد دخلت فصائل كبيرة إلى الميدان لغير صالح الإسلام، بعد أن أدركت عملياً أن وجودها في خطر بعد امتلاك الإسلام الدولة التي ترعاه ويتحقق أهدافه من خلالها ..

وهكذا كانت مرحلة ما بعد الهجرة قد وضعت المسلمين أمام مسؤوليات أشمل ميداناً وأبعد خطراً، حيث بناء الدولة وحمايتها وبناء المجتمع وترصينه، وصد الأعداء ونشر العقيدة وغير ذلك .. والصراع بطبيعته قد تحول بدوره من صراع أفراد أو إرهاب

قبائل، وأصحاب وجاهاً لأفراد عزل لا يملكون غير دينهم وثقتهم بالله تعالى . . إلى صراع عسكري منظم بين قوى جمعتها المصالح والإهواه ولو آنياً لحرب الإسلام العظيم باعتباره - وبتقديرهم - الخطر الماحق لوجودهم الفكري والعملي . . وقد تفجر الصراع العسكري بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلاً.

وحسبيك أن دولة القرآن قد شهدت عبر عشر سنوات عاشرها الرسول (ص) بعد هجرته إلى المدينة عشرات من الأعمال العسكرية بين حروب دفاعية أو هجومية أو غزوات أو سرايا أو غيرها . . قدم المسلمون خلالها الكثير من الصناعات ولاقوا صنوفاً من البلاء بيد أنهم أنهوا الوجود العملي للجاهلية العربية . . فشملت دولة الإسلام الجزيرة العربية دون منازع . .

وإذا تتبعنا تلك المرحلة الدقيقة من عمر الرسالة الخاتمة لوجدنا أن دور علي بن أبي طالب (ع) فيها لم يرق إليه دور قط . . فهو في جميع حروب الإسلام مع أعدائه كان يفوز بقبض السبق لا من باب اشتراكه في الحرب أو قتاله فيها، وإنما بما قدمه من بطولة وتضحية يسبق بها سواه ومن المناسب هنا أن نذكر طرفاً من بطولته (ع):

بأس في الحرب:

١. في معركة بدء:

كان عدد المسلمين يساوي ثلث جيش عدوهم وكانت العدة لدى المسلمين ليست ذات بال فعلى سبيل المثال كانوا لقلة ركائبهم يركب منهم الإثنان والثلاثة والأربعة على بعير واحد، ولم يكن منهم فارس غير المقداد بن الأسود الكندي، وكانت أسلحة بعضهم من جريد النخل ونحوه . .

حتى إذا اضطرمت نار الفتنة تقدم علي (ع) وكان يحمل لواء

الرسول (ص)^(١) فخاض غمار معركة حامية غير متكافئة، كان المسلمين خلالها يستغفرون ربهم طلباً للنصر فاستجاب لهم وأمدتهم بالملائكة، وقد انتهت المعركة بمقتل سبعين رجلاً من المشركين كان مقتل حوالي نصف عددهم بسيف علي^(٢).

٢. وفي معركة أحد:

كان رسول الله (ص) قد أعطى لواء المهاجرين لعلي (ع) ولما اشتبك الطرفان كان النصر ابتداءً للمسلمين، بيد أن حمة جبل أحد الذين أمرهم الرسول (ص) بعد مفارقتهم تركوا أماكنهم بعد فرار المشركين بدافع الطمع في الغنائم، فصعدت إحدى فرق المشركين بقيادة خالد بن الوليد الجبل فتغير الموقف لصالح المشركين فخسر المسلمون الكثير من الشهداء.. وأصيب الرسول (ص) بجروح في وجهه الكريم وكسرت رباعيته وحيث لم يبق مع رسول الله (ص) في ذلك الموقف الرهيب بعد فرار المسلمين غير علي (ع) وأبي دجانة وسهيل بن حنيف استبسّل على (ع) كعادته في الدفاع عن رسول الله (ص) ومجد الرسالة الإلهية، وقتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد الآخر، وكانوا تسعه رجال ثمانية منبني عبد الدار وتاسعهم عبدهم^(٣). مما أربك العدو وأضطره للفرار.

(١) أحمد بن يحيى البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩١ و ٩٤ ط ١٩٧٤ سنة ١٩٧٤
بيروت / ومستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١١١ / وابن سعد في الطبقات ج ٣
ص ١٥ .

(٢) حياة أمير المؤمنين / محمد صادق الصدر ط ٢ / سنة ١٩٧٢ ص ٢٣٠ .

(٣) تاريخ الطبراني ج ٣ ص ١٧ / وأحمد بن حنبل في الفضائل / وابن هشام في السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٢ ودلائل الصدق / الشيخ محمد حسن الظفر ج ٢
ص ٣٥٧ ط قم. وحياة أمير المؤمنين / السيد الصدر ص ٢٣٦ وما بعدها والإرشاد
للمفید ص ٥٢ .

٣. وفي غزوة الأحزاب:

طوقت المدينة بعشرة آلاف من المشركين^(١) بشتى فصائلهم، ونقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله (ص) وانضموا إلى صفوف الغزاة، فتغير ميزان القوى لصالح العدو، وبلغ الذعر في نفوس المسلمين أيما مبلغ، فقد زافت الأ بصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزلت نفوس وظننت نفوس بالله الظنونا - كما حدثنا القرآن^(٢) - .

ويبدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبد ود العامري أحد أبطال الشرك الخندق مع بعض رجاله، فهددوا المسلمين في داخل المدينة بل في داخل تحصيناتهم .. وراح بن عبد ود يصول ويتجول، ويتوعد المسلمين ويتفاخر عليهم ببطولته، ويستعلي وينادي :

هل من مبارز؟

فقام علي (ع) وقال: إنا له يا رسول الله.

قال رسول الله (ص): اجلس إنه عمرو!

وكرر ابن عبد ود النداء وجعل يوبخ المسلمين، ويسخر بهم يقول: أين جتكم التي تزعمون، أن من قتل منكم يدخلها، أفلاتبرزون لي رجالاً؟

ولما لم يجده أحد من المسلمين، كرر علي (ع) طلبه: أنا له يا رسول الله.

فقال (ص) اجلس إنه عمرو!

فأبدى علي عدم اكتراثه بعمرو وغيره، قائلاً: وإن كان عمروا!!

(*) تراجع سورة الأحزاب ١٠.

فأذن رسول الله لعلي (ع)، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه، وعممه بعمامته ..

ثم قال (ص) «اللهم هذا أخني وابن عمي، فلا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين»^(١).

ومضى علي (ع) إلى الميدان، ومخاطب ابن عبد ودّ بقوله: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله، أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا قبلتها ..

قال عمرو: أجل.

فقال علي (ع) فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله (ص) وإلى الإسلام.

فقال: لا حاجة لي بذلك.

قال له الإمام: فإني أدعوك إلى البراز.

فقال عمرو: إني أكره أن أهريق دمك، وإن أباك كان صديقاً لي ..

فرد عليه الإمام (ع) قائلاً: لكنني والله أحب أن أقتلك، فغضب عمرو، وبدأ الهجوم على علي (ع) فصدّه الإمام برباطه جأشه المعتمد، وأرداه قتيلاً، فعلا التكبير، والتهليل في صفوف المسلمين^(٢) ..

ولما عاد الإمام (ع) ظافراً استقبله رسول الله (ص) وهو يقول «المبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ، أفضل من عمل أمتي

(١) السيرة النبوية / أحمد زيني دحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ «غزوة الخندق».

(٢) المصدر السابق.

إلى يوم القيمة»^(١).

وبعد مقتل ابن عبد ود بادر علي (ع) إلى سد الشغرة التي عبر منها عمرو ورجاله الخندق ورابط عندها^(٢) مزمعاً القضاء على كل من تسول له نفسه العبور، ولو لا ذلك الموقف البطولي لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين، بذلك العدد الهائل.

وهكذا كانت بطولة علي (ع) في غزوة الأحزاب أهم عناصر النصر للمعسكر الإسلامي ، وانهزم المشركين.

٤. وفي غزوة خيبر:

عجز عليه القوم عن الصمود أمام اليهود، ولما بان ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى نآخر فتحها أياماً قال رسول الله (ص) «لأعطين الرأبة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ..»^(٣). ولما كان الغد أعطاها علياً فاقتحم حصون خيبر ودخلها عليهم عنوة، وقتل بطلهم مرحباً ثم فتح الحصون جميعاً..

٥. غزوة حنين:

فرّ المسلمون فلم يبق مع رسول الله (ص) غير علي (ع)^(٤)

(١) | مستدرك الصحيحين ٣ ص ٣٢ عن سفيان الثوري ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٩ : نقلأً عن فضائل الخمسة ج ١ .

(٢) | السيرة النبوية للحلان / ٢ ص ٦ و ٧ «غزوة الخندق» أو إرشاد المفید ص ٥٨ .

(٣) | أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٣ و ٩٤ عن أبي هريرة وابن عباس بلفظ متشابه / وخصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص ٩ وما بعدها ط / ١ ١٩٧٥ بيروت وفي الإصابة والإستيعاب وحلية الأولياء ومسلم في الصحيح بالفاظ متقاربة .

(٤). سيرة الرسول للسيد محسن الأمين نقلأً عن السيرة الحلبية وابن قتيبة في المعارف ،

والعباس وبعض أهل البيت (ع) فكان النصر بعد عودة المسلمين لميدان القتال.. وكان الظفر..

هذه صور يسيرة من مواقف الصمود التي سجلها الإمام علي (ع) بين يدي رسول الله (ص) القائد في أدق الساعات وأكثرها حرجاً^(١).

ومن نافلة القول أن نعيد إلى الأذهان أن علياً (ع) قد اشترك في حروب رسول الله جميماً غير تبوك^(٢) وذلك بأمر من الرسول (ص) بذاته، وكان له في جميعها القدر المعلى، هذا عدا الغزوات التي قادها بنفسه عليه السلام.

والباحث المنصف حين يتناول حياة الإمام علي (ع) بالدراسة وفي شطرها الجهادي بالذات يقف مذهولاً أمام بطولته الفريدة وتضحياته المعطاءة، لكن البطولة بما هي بطولة ليست هي الميزة في جهاد علي (ع) وإن كان ميدانها الواسع وشمولها يبقى سمة من سمات علي ولكن الأهم فيها إنما هو الإخلاص لله تعالى والتضحية في سبيله.

في إيمان علي (ع) بالله تعالى يبقى هو الحافز والمحرك لتلك

= وتفسیر المیزان للسید الطباطبائی ج ۱۰ تفسیر آیة ۲۵ من التوبہ والبحث الروائی / والارشاد للمفید «غزوہ حنین» ص ۸۱.

(۱) للإستزادة يراجع كتاب الإمام علي / عبد الفتاح عبد المقصود وأعيان الشيعة المجلد الثالث / للسيد محسن الأمين والإرشاد للشيخ المفید وسیرة ابن هاشم والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالکی.

(۲) راجع أنساب الأشراف للبلذري ج ۲ ص ۹۲ ط ۱۹۷۴، (ومستدرک الصحيحين ج ۳ ص ۱۱۱ وابن سعد في طبقاته ج ۳ ص ۱۰ وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ۳ ص ۴۷۵) نقلأ عن فضائل الخمسة لمعرفة المزيد من المصادر ج ۲ ص ۳۰۹.

البطولات العظيمة التي سجلها تاريخ الإسلام في أنسع صفحاته
بشكل لم يسجل مثلها لسواء .

وحسبي في ذلك أن كثيراً من المواقف العسكرية - كما رأينا - يعرض فيها عليه القوم فضلاً عن عامتهم للهون بل والهزيمة النكراء غير أن التاريخ لم يسجل لعلي (ع) إلا الصمود والفداء والتضحية في كل موقف، صمد الناس فيه أم انهزموا، الأمر الذي لا يفسره إلا ما يتمتع به علي (ع) من صدق اليقين وعمق الاستعانة والتوكل على الله والعبودية له، واللامبالاة بما سواه كبر ذلك أم صغر. هذا عدا ما يتمتع به علي (ع) من علو الهمة وقوة العزيمة ورباطة الجأش وسمو النفس.

—

عليه فليه منظار الإسلام

لم يحظ رجل في الإسلام ما حظي به علي بن أبي طالب (ع) من ثناء وإجلال من لدن الرسالة الإسلامية، وحثها المتزايد لإتباعها لا على تقديره فحسب، وإنما على التزامه، وانتهاج سبيله.

وقد انطوى القرآن الكريم والسنّة الشريفة والتاريخ الصحيح على نصوص وروايات تنطق كلها بالثناء على علي (ع).

فمرة تأتي كأوسمة يضعها الإسلام على صدره فيميزه.

ومرة على شكل أحكام وأوامر تلزم المسلمين على التزام علي (ع) إماماً ومنهجاً.

فمن أوسمة التقدير التي نالها علي (ع) من الله تعالى ومن رسوله (ص) نذكر منها بلي :

١ - «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً».

(الأحزاب - ٣٣)

وذهب المفسرون لهذه الآية أنها نزلت في رسول الله (ص)

وعلي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين (ع) حين دعا الرسول (ص) بعبأة وجللهم بها، ولها نزلت الآية قالت أم سلمة زوجة الرسول (ص): هل أنا من أهل بيتك؟
قال: لا ولكنك على خير^(١).

٢ - ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْهَلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيَّينَ﴾.

(آل عمران / ٦١)

ذكر أهل التفسير من جميع المسلمين أنها نزلت حين خرج رسول الله (ص) بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لمباهلة نصارى نجران، فلما رأه النصارى قد خرج بأهل بيته خافوا العاقبة واعتذروا عن مباهلته، فدفعوا الجزية خضوعاً منهم لسلطان دولته (ص)^(٢)!

٣ - ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبْهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رِبِّنَا

(١) راجع صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، والحاكم في مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤٧ والبيهقي في سنة ج ٢ ص ١٤٩ والسيوطى في الدر المنشور في تفسير الآية، وصحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٠٩ وأبن حجر في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٧ وغيرهم نقلأ عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها.

(٢) صحيح الترمذى ج ٢ ص ٣٠٠ وأحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١٨٥ والسيوطى في الدر المنشور في تفسير آية المباهلة والزمخشري في كشافه والفارس الرازي في تفسير الكبير وغيرهم نقلأ عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ص ٢٤٤ وما بعدها.

**يَوْمًا عَبُوساً قُمْطَرِيرَاً . فَوَقِيهِمُ اللَّهُ شَرّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَفِيهِمْ نَصْرَةٌ
وَسُرُورًا .**

(الدهر / ١١ - ٨)

وهذه بإجماع أهل التفسير نزلت في علي وفاطمة والحسن
والحسين (ع).

وكان ذلك عندما مرض الحسنان فنذر علي (ع) وفاطمة وفضة إن
شفى الحسنان، فإن علياً والزهراء وفضة يصمونون الله تعالى ثلاثة
أيام.

وبعد شفاء الحسينين صام أهل البيت (ع).
وعند غروب شمس اليوم الأول طرق الباب عليهم مسكون يشكو
جوعه، فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير.
وفي اليوم الثاني استطعهم يتيم فأطعموه ..

وفي ثالث أيام النذر سألهما أسير فقدموا له طعامهم وهكذا بقي
أهل البيت (ع) ثلاثة أيام لم يذوقوا فيها غير الماء، فأنزل الله بهم
هذه الآيات الكريمة إعظاماً ل شأنهم وإكبار لعملهم^(١) ليكونوا القدوة
وليكونوا المثال.

٤ - «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجَّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْعَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ

(١) يراجع الزمخشري في كشافه ج ٢ / والواحدي في أسباب التزول / وجمع البيان للطبرسي في تفسير سورة الدهر / والحافظ محمد بن جرير الطبرى كما في الكفاية / وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٣ ص ٤٢ - ٤٧ / والحاكم اليسابوري ذكره في مناقب فاطمة (ع) كما في الكفاية / وأبو إسحاق التعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» / والألوسي في روح المعانى / والطبرى في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧ / نقلأ عن الغدير للشيخ الأميني ج ٣ ص ١٠٧ - ١١١.

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

(التوبة / ١٩)

نزلت هذه الآية عندما تفاخر طلحة بن شيبة والعباس بن عبد المطلب: إذ قال طلحة: إنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي!

وقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليها وفي هذه الأثناء مرّ عليّ بهما وسألهما: بم يفتخران. فذكرا له مقالاً.

فقال علي (ع): أنا أوتيت منذ صغرى ما لم تأتيا.

فقالا وما ذاك؟

فقال (ع): لقد صليت قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى الآية المذكورة في الثناء على ما افتخرا به علي (ع)^(١).

وإذا كان القرآن الكريم يشي هذا الثناء الجميل على علي (ع) فتعال معى إلى السنة الشريفة لقرأ شيئاً منها في هذا الصدد:

١ - قال رسول الله (ص): أنا مدينة العلم وعلى بابها^(٢).

٢ - وقال (ص): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا

(١) تفسير الطبرى عن أنس ج ١٠ ص ٥٩ / وأسباب النزول للواحدى ص ١٨٢ / والقرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ / والرازي في تفسيره ج ٤ ص ٤٢٢ / والخازن في تفسيره ج ٢ ص ٢٢١ / وأبو البركات النسفي ج ٢ ص ٢٢١ / والدر المثور للسيوطى ج ٣ ص ٢١٨ / وغيرهم مع اختلاف في التفاصيل والألفاظ.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦ / ومناقب أحمد بن حنبل وأبو عيسى الترمذى في جامعة الصحيح / وكتن العمال ج ٦ ص ٤٠١ / وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٢ / والخطيب البغدادى في تاريخه ج ٤ ص ٣٤٨: نقلأ عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها.

نبي بعدي»^(١).

٣ - وقال (ص) : مخاطباً علياً (ع) «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»^(٢).

٤ - وقال (ص) يوم المواхاة - بين المهاجرين والأنصار مخاطباً علياً (ع) : أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعهما بعدك إلا كذاب»^(٣).

هذه طائفة من النصوص الخاصة بالثناء على علي (ع) ومن شاء المزيد فليراجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة وينابيع المودة ومستند أحمد بن حنبل وفضائل أمير المؤمنين وأمانته من دلائل الصدق وغيرها.

أما النصوص القاضية بوجوب التزام علي (ع) إماماً وقائداً في دنيا المسلمين فنذكر منها ما يلي :-

من فضائل الإمام علي (ع) :

أ - ﴿إِنَّمَا وَلِيَّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُقْبِلُونَ عَلَى الصَّلَاةِ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ .

(المائدة / ٥٥)

(١) مستند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٧٤ / ومستند أبي داود ج ٢ ص ٢٨ والبخاري في بباب غزوة تبوك ومسلم الترمذى وغيره هؤلاء نقلًا عن المراجعات ص ١٣٣ - ص ١٣٦ .

(٢) صحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٢٩ / وأحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٩٢ / والنمساني ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٩ وغيرهم راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٠٧ وغيره .

(٣) صحيح ابن ماجة وصحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٩٩ / والنمساني في الخصائص ص ٣ و ١٨ ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤ / ومستند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٩ وغيرها مع اختلاف في الألفاظ يسير .

قال المفسرون إن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب (ع)^(١) فأكملت وجوب الالتزام به إماماً ومرجعاً فكريّاً واجتماعياً وسياسياً للأمة، وقد كان سبب نزولها حين تصدق علي (ع) على مسكيين بخاتمه أثناء ركوعه، فالآية إنما نزلت بهذا الصدد وهي تؤكّد في ذات الوقت إمامته علي (ع)

بـ خطبة الغدير:

وهي البيان الذي وجهه الرسول (ص) إلى المسلمين في غدير خم في آخر حجة له لبيت الله، فعن البراء بن عازب قال:

«أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه (وآلـهـ) وسلم في السنة التي حج، فنزل في بعض الطريق، فامر: الصلاة جامعة، فأخذ بيده علي فقال: «أليست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟.

قالوا: بلى.

قال (ص): أليست أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى.

قال (ص): «فهذاولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه»^(٢) وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (ص)

(١) تفسير البيضاوي / ومجمع البيان للطبرسي / وأبو إسحاق الشعبي في تفسيره / والطبراني في تفسيره ج ٦ ص ١٦٥ / والواحدي في أسباب النزول ص ١٤٨ / والخازن في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦ / والرازي في تفسيره ج ٣ ص ٤٣١ / وأبو البركات التفسيري ج ١ ص ٤٩٦ / والنسيابوري في تفسيره ج ٣ ص ٤٦١ / وابن حجر في الصواعق ص ٢٥ وغيرها نقاً عن: أعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ - ص ١٣٤ وخلفاء الرسول الإثنان عشر ص ١٠٣ وما بعدها.

(٢) اللفظ لصحيح ابن ماجة ص ١٢.

قال (من كنت مسؤلاه فعلي مسؤلاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) ^(١).

ج: قال رسول الله (ص) «علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض» ^(٢).

وفي حديث آخر لرسول الله (ص) يخاطب به عمار بن ياسر (ره) جاء فيه «.. وإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فأسلك وادياً سلكه علي وخل الناس طرأ» ^(٣).

د - وقال (ص):

«لكلنبي وصي ووارث وأن علياً وصي ووارثي» ^(٤)

(١) مسند ابن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ ، فقد نص عليه قائلًا رواه ثلاثة صحابيًا ، وأخرجه أيضًا النسائي في خصائص علي بن أبي طالب بعده طرق والترمذى والطبرانى / عن زيد بن أرقم والفارغ الرازى فى تفسير آية «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» وكذ العمال ج ١ ص ٤٨ / ومستدركة الصحيحين وسواهם . نقلًا عن كتاب الغدير تأليف العلامة الأميني - ره - ج ١ .

(٢) تاريخ البغدادى ج ١٤ ص ٣٢١ / والهيثمى فى مجموعه ج ٧ ص ٢٣٥ / وكذ العمال ج ٦ ص ١٥٧ / وتفسير الرازى ج ١ ص ١١١ / وغيرهم مع اختلاف فى الألفاظ . نقلًا عن علي والوصية ص ١١٣ .

(٣) تاريخ الخطيب البغدادى ج ١٣ ص ١٨٦ / والهيثمى فى مجموعه ج ٧ ص ٢٣٦ وكذ العمال ج ٦ ص ١٥٥ مع اختلاف يسير فى الألفاظ .

(٤) ينابيع المودة سليمان الحنفى «باب عهد النبي علي وجعله وصيًّا» والذهبى فى ميزان الإعتدال والسيوطى فى الثالثي والديلمى فى كنز الدقائق ومناقب أحمد بن حنبل وكذ العمال ج ٦ ص ١٥٤ والمعجم الكبير للطبرانى والمحب الطبرى فى الذخائر وغيرهم نقلًا عن علي والوصية لنجم الدين العسكري ص ١٩٠ .

هذا غيض من فيض من النصوص الإسلامية الموثقة المجمع
على صحتها، ووثاقتها من جميع المسلمين^(١).

(١) «ومن شاء الميّز فليراجع ينابيع المودة / للشيخ القندوزي الحنفي والفصول
المهمة لابن الصبّاع المالكي وفضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز أبادي
ومسند أحمد بن حبّيل وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين وعلي
والوصية للشيخ نجم الدين العسكري وغيرها.

عليه فليه عهد الخلفاء

... فاضت نفس رسول الله (ص) في حجر علي (ع)^(١) ورحل (ص) إلى ربه الأعلى ، وهو قلق على مستقبل الرسالة والأمة ، كما يجسد ذلك بقوة قوله (ص) عند زيارته لقبور المؤمنين في البقيع في بداية مرضه الذي قضى فيه «السلام عليم يا أهل القبور ، ليهئتكم ما أصبحتم فيه ، مما فيه الناس ، أقبلت الفتنة كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ..»^(٢).

وتؤكد هذه المستمرة على ضرورة التزام الثقلين : كتاب الله تعالى والعترة الطاهرة^(٣).

وطلبه في آخر ساعة من حياته أن يؤتى بدوداوة وكتف ليكتب

(١) مناقب الخوارزمي عن عائشة ومسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٠ / وذخائر العقبي للمحب الطبراني ص ٧٣ وغيرها يراجع علي والوصية ص ٢٠٦ - ٢١١ .

(٢) أخرجه النسائي وأبو داود وابن ماجة وأحمد بن حنبل في مسنده .

(٣) أخرجه الترمذى برقم ٨٧٤ من أحاديث كنز العمال ج ١ ص ٤٤ ومسند ابن حنبل ج ٥ ص ١٨٢ وص ١٨٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٨ وغيرها .

للامة كتاباً لن تضل بعده أبداً^(١)!

إلى غير ذلك من مصاديق توجسه وقلقه (ص) على مستقبل المسيرة الإسلامية، بالرغم من احتياطه لتحسين الأمة وتجنيبها من الوقوع في الفتنة.

وما أن فاضت نفس رسول الله (ص) واحتفل علي (ع) وأهل البيت بتجهيزه من أجل موارة جسده الطاهر في مشواه الأخير، حتى عقدت الأنصار وبعض المهاجرين اجتماعاً في سقيفةبني ساعدة لتنصيب من يخلف النبي (ص) في قيادة المسلمين.

وبعد مناقشات حادة وطويلة سادها جو من التوتر والقلق والعنف والخلاف بادر عمر بن الخطاب إلى بيعة أبي بكر بالخلافة^(٢) وطلب من الحاضرين ذلك، ولم يكن علي (ع) على علم بما حدث، ولكن النبأ قد انساب إلى مسامعه من خلال الضجيج الذي أحده خروج القوم من السقيفة، وهم في طريق توجههم للمسجد النبوى:

وحتى تلك الساعة ما زال علي وأهل البيت (ع) مشغولين بتجهيز فقيد الأمة العظيم رسول الله (ص) إذ ظل (ص) جثمانه الطاهر ثلاثة أيام^(٣) دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه والصلاحة عليه.

ولعدم قناعة الإمامة (ع) بما جرى ظل مؤمناً بحقه في الخلافة واعتزل الناس، وما هم فيه ستة شهور، ولم يسمع له صوت في ما

(١) أخرجه البخاري ج ١ كتاب العلم ص ٢١ ومسلم في آخر الوصايا من صحيحه ج ٣ ص ٢٥٩ / وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ وغيرهم.

(٢) راجع صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩٤ وترابع السقيفة / للشيخ محمد رضا المظفر ونظام الحكم والإدارة في الإسلام / لمحمد مهدي شمس الدين للتفصيل.

(٣) تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧١ / وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٢ ، نقلأ عن الغدير ج ٧ ص ٧٥ .

يسمى بحروب الردة ولا سواها^(١).

ولقد استجذت أمور وأحداث خطيرة تهدد الإسلام وأمته بالفناء، فقد قوي أمر المتنبئين بعد وفاة رسول الله (ص) واشتد خطرهم في الجزيرة العربية من أمثال: مسيلة الكذاب، وطلحة ابن خويلد الأفاك وسجاح بنت الحرش الدجالة وغيرهم وصار وجودهم يشكل خطراً حقيقياً على الدولة الإسلامية.

واشتد ساعد المنافقين وقويت شوكتهم في داخل المدينة وكان الرومان والفرس لل المسلمين بالمرصاد^(٢).

هذا عدا ظهور التكتلات السياسية في المجتمع الإسلامي على أثر بيعة السقيفة.

ولقد تعامل الإمام (ع) مع الخلافة حسب ما تحكم به المصلحة الإسلامية حفظاً للإسلام وحماية للجامعة الإسلامية من التمزق والضياع، وتحقيقاً للمصالح العليا الإسلامية التي جاهد من أجلها.

وللإمام علي (ع) كتاب جاء فيه - بهذه الصدد - ما نصه «... فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولا يتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما ينقطع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتهنه»^(٣).

(١) السقيفة ص ١٦٠ ط ٤ / ١٩٧٣ بيروت.

(٢) المراجعات / للحجۃ السيد شرف الدين ص ٣٠٢.

(٣) من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشتر حين ولاد إمارتها ص ٤٥١ من نهج البلاغة تبویب الدكتور صبحي الصالح ط ١ ١٩٦٧ بيروت.

يبد أن صوت علي (ع) كان يعلو عندما يستشار ويجهز عندما يستفتى ، وقد تصدى - في هذا المضمار - لتوجيه الحياة الإسلامية، وفقاً لما تقتضيه رسالة الله تعالى في الحقول التشريعية والتنفيذية والقضائية .

ومن أجل ذلك فإن الباحث التاريخي في حياة الإمام (ع) لا يلبث إلا أن يلتقي مع مئات المواقف والأحداث - في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان التي لا تجد غير علي (ع) مدبراً لها ومعالجاً وقاضياً بأمر الشريعة فيها .

والخلفاء الثلاثة لم يروا بدأ من استشارته إذا التبست عليهم الأمور، وهكذا تجده - مرة - مرشدًا إلى الحكم الإسلامي الصحيح في أمر ما ومرة تجده قاضياً في شأن من شؤون الأمة، وأخرى موجهاً للحاكم الوجهة التي تحقق المصلحة الإسلامية العليا .

وبمقدورنا أن نلمس دوره الرسالي ذلك إذا طرحنا بعض مفردات منهجه المتبنى أيام الخلفاء الذين سبقوه .

أ. في خلافة أبي بكر:

١ - فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدموا وأخروا، ولم يقطعوا برأي، فأستشار علياً (ع) في الأمر فقال (ع) إن فعلت ظرفت .

فقال أبو بكر: بشرت بخير.

وأمر الناس بالخروج بعد أن أمر عليهم خالد بن سعيد^(١) .

٢ - أراد أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر... .

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١١ - نقلًا عن علي والخلفاء لل العسكري ص ٦٢ .

فقال الرجل : لاني شربتها ولا علم لي بتحريمها فأرسل إلى الإمام يسأله عن ذلك فقال (ع) : مُرْ نقبيين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين والأنصار وينشد انهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله (ص)، فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقام الحد عليه، وإن لم يشهد أحد بذلك ، فاستتبه وخلّ سبيله» .

ففعل الخليفة ذلك ، فعلم صدق الرجل فخلّ سبيله^(١) .

٣ - عن محمد المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى الخليفة أبي بكر أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب ، ينكح كما تنكح المرأة ، وأن أبياً بكر جمع لذلك ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وكان فيهم علي بن أبي طالب أشدّهم يومئذ قولاً ، فقال : إن هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة - يعني قوم لوط - فصنع الله بها ما قد علمتم ، أرى أن تحرقوه بالنار ، فكتب أبو بكر بذلك إلى ابن الوليد^(٢) .

٤ - قدم جاثليق النصاري يصحبه مائة من قومه فسئل أبو بكر أسئلة ، فدعا علياً (ع) فأجابه عنها ، ونكتفي منها بسؤال واحد من أسئلة الجاثليق : - أخبرني عن وجه رب تبارك وتعالى ! فدعا علي (ع) بنار وحطب ، وأضرمه ، فلما أشتعلت قال أين وجہ هذه النار؟

قال الجاثليق : هي وجہ مع جميع حدودها .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٧٨ وبحار الأنوار ج ٤٠ عن الكافي .

(٢) كنز العمال ج ٣ ص ٩٩ ، نقلأ عن علي والخلفاء ص ٦٣ .

فقال علي (ع) : هذه النار مدبرة مصنوعة، لا يعرف وجهها وخالفتها ولا يشبهها، والله المشرق والمغرب فainما تولوا فتم وجه الله لا تخفي على ربنا خافية^(١).

٥ - وأرسل ملك الروم رسولاً إلى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله، ولا يركع ولا يسجد ويأكل الميتة والدم، ويشهد بما لم ير ويحب الفتنة ويعغض الحق، فأخبر بذلك علياً (ع) فقال:

هذا رجل من أولياء الله: لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه، وإنما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنائز، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويحب المال والولد (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرحمها، ويكره الموت وهو حق^(٢).

هذه بعض مصاديق اهتماماته بمسيرة الإسلام التاريخية في عهد أبي بكر.

ب- في خلافة عمر بن الخطاب:

١ - حين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الإمام (ع) في الأمر، فنصحه الإمام بـألا يقود الجيش بنفسه مبيناً علة ذلك قائلاً: «.. فابعث إليهم رجلاً مجرياً واحفظ معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله بذلك ما تحب، وإن تكون الأخرى كنت رداءً للناس، ومثابةً

(١) علي والخلفاء ص ٦٠ نقلًا عن التستري / قضاء أمير المؤمنين ص ٦٦ ط ١/١ سنة ١٣٦٩ هـ النجف الأشرف.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٨٠ .

للمسلمين»^(١).

٢ - ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير - من البحرين - فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتأهم بأمره قائلاً: ما ترون في فضلِ ، فضلٌ عندنا من هذا المال؟

قالوا: يا أمير المؤمنين إنا شغلناك بولاية أمورنا من أهلك وتجارتك، وضياعتك، فهو لك.

فالتفت عمر إلى علي قائلاً: ما تقول أنت؟

قال الإمام (ع): قد أشاروا عليك.

قال الخليفة: فقل أنت؟

قال (ع): لِمَ تجعل يقينك ظناً، ثم حدثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله (ص).

وأخيراً أشار عليه الإمام (ع) بتوزيعه على الفقراء، قائلاً، «أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضه على فقراء المسلمين».

فقال عمر: صدقت والله^(٢).

٣ - «عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول أن نزك هذا المال في جوف الكعبة لأنّه وأقسامه في سبيل الله وفي سبيل

(١) نهج البلاغة تبويب د . صبحي الصالح ط ١ ص ١٩٢ .
احفظ: ادفع وسق، أهل البلاء: أهل المهارة في الحرب،
مثابة: مرجع .

(٢) علي والخلفاء / نجم الدين العسكري ص ٨٣، نقاً عن أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ٩٤ وكتنز العمال ج ٤ ص ٣٩ .

الخير وعلي بن أبي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر: ما تقول يا ابن أبي طالب بالله لئن شجعني عليه لأفعلن؟

قال علي: أتجعله فيما، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان^(١) فاقتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلي الكعبة.

٤ - بعث أبو عبيدة بن الجراح ويرة بن رومان الكلبي إلى عمر بن الخطاب: إن الناس قد تتابعوا في شرب الخمر بالشام، وقد ضربت أربعين ولا أراها تغنى عنهم شيئاً، فاستشار عمر الناس..

قال علي (ع): أرى أن يجعلها بمنزلة حد القذف «ثمانون جلدة».

إن الرجل إذا شرب هذى، وإذا هذى، افترى. فجلدها عمر بالمدينة، وكتب إلى أبي عبيدة.. فجلدها بالشام^(٢).

٥ - وقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة، فلما أصبح قال للناس: أرأيتم أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة. فأقام عليهما الحد ما كتتم فاعلين؟

قالوا: إنما أنت إمام.

قال علي بن أبي طالب: «ليس ذاك لك، إذن يقام عليك الحد، إن الله لم يؤمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء» ثم إن عمر ترك الناس ما شاء الله، ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالتهم الأولى.. وقال علي (ع) مثل مقالته.

(١) كنز العمال ج ٧ ص ١٤٧ وصحيح البخاري ٧٢٧/١٩ وغيره نقاً عن علي والخلفاء ص ٨٧.

(٢) سنن البيهقي وتاريخ الطبرى، وكنز العمال ج ٣ ص ١٠١ وشرح الموطأ للزرقانى ج ٤ ص ٢٥ وغيره. نقاً عن علي والخلفاء ص ٩٠.

فأخذ عمر بقول الإمام^(١).

٦ - عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب سأله الناس قائلاً: كم يتزوج المملوك؟ وقال لعلي: إياك أعني يا صاحب المعافري - رداء كان عليه -

فقال الإمام (ع) اثنين^(٢).

٧ - بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: اكتب إلى أمير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتثله، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر، فلما قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالأمر.

فقال علي (ع): من صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فإذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلى قيسارية، فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى، كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عمر: صدق المصطفى صلى الله عليه (وآله) وسلم، وصدقت أنت يا أبا الحسن.. ثم كتب إلى أبي عبيدة بالذى أشار به علي (ع)^(٣):

٨ - بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور

(١) كنز العمال ج ٣ ص ٩٦ والفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٨٢، نقلًا عن علي والخلفاء ص ٩٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب. ج ٢ ص ١٩١، علي والخلفاء ص ١٠٢.

(٣) علي والخلفاء ص ١٣٣ نقلًا عن ثمرات الأوراق في المحاضرات لأبن الججة الحموي الحنفي. ج ٢ ص ١٥ ط ١٣٦٨.

ابن الخطاب أصحاب رسول الله (ص) في سواد الكوفة ..

قال بعضهم: تقسمها بيننا، ثم شاور علياً (ع) في الأمر.

قال أن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدها شيء، ولكن تقرها في أيديهم يعلموها، فتكون لنا ولمن بعدها فقال عمر لعلي: وفقك الله... هذا الرأي^(١)!

٩ - عن الطبرى في تاريخه عن سعيد بن المسيب. قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟ .

قال علي (ع): من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ وتركت أرض الشرك، ففعله عمر^(٢)، وهكذا وجد التاريخ الهجرى ليؤرخ به المسلمين.

هذه بعض ملامح دور الإمام علي (ع) الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

ج. في عهد عثمان:

١ - تزوج شيخ كبير بكرأ فحملت، فادعى الرجل أنه لم يصل إليها، فسأل عثمان المرأة: هل افتضى الشـيـخـ؟
قالت: لا فأمر بإقامة الحـدـ عليها.

قال الإمام (ع): إن للمرأة سـمـينـ: سـمـ الحـيـضـ وـسـمـ الـبـولـ، فـلـعـلـ الشـيـخـ كـانـ يـنـالـ مـاـوـهـ فـيـ سـمـ الحـيـضـ، فـحـمـلـتـ مـنـهـ،

(١) علي والخلفاء ص ٢٣٩.

(٢) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٥٣، وفي تاريخ اليعقوبى مثله وكنز العمال ومستدرك الحاكم والكامـلـ لـابـنـ الأـثـيرـ نـقـلاـ عـنـ عـلـيـ والـخـلـفـاءـ صـ ٢٤٠ـ.

فقال الرجل: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالإفتراض.

فقال الإمام علي (ع): الحمل له، والولد له، وأرى عقوبته على الإنكار له»^(١).

٢ - عن موطأ مالك عن بعجة بن بدر الجهنبي: أنه أتى - عثمان - بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهم برجمها فقال علي (ع): إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: «وحمله وفصالة ثلاثون شهراً» ثم قال «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ين يتم الرضاعة».

فحولان مدة الرضاعة وستة أشهر مدة الحمل.

فقال عثمان: ردوها^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٩٢ وعجبائب أحكام أمير المؤمنين / محمد ابن علي القمي (ره) ص ٤٣.

(٢) المناقب ص ١٩٢ وابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٥٧، والبيهقي في ستة ج ٧ ص ٤٤٢.

«خاتمة»

هذه أمثلة يسيرة مما كان ينهض الإمام علي (ع) به من مسؤوليات عظيمة في عهد الخلفاء، وكان دافعه في ذلك الإخلاص للرسالة وحفظ الوحدة الإسلامية وحماية المسيرة الإسلامية من الإنحراف.

ولقد تنبه الخليفة الثاني إلى أهمية ما يقوم به علي (ع) في هذا المضمار، فصرح مراراً مشيداً بذلك الفضل، ومنوهاً بأهميته في مسيرة الخلافة كقوله: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن»^(١)، وغير ذلك.

(١) الدر المتشور للسيوطى ج ٣ ص ١٤٤ وسيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٦ والفتوحات الإسلامية لدحLAN ج ٢ ص ٤٨٦ وغيرها، نقلأ عن علي والخلفاء للشيخ نجم الدين العسكري ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ والغدير ج ٦ وج ٧، وعجائب أحكام أمير المؤمنين للمفسر الجليل محمد بن إبراهيم القمي.

القسم الثاني

«طعوني»
والتهمسوا «غيرة»

مقدمة

... في هذا الجزء من دراستنا لحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ينصب البحث على دراسة أدق المراحل، التي عاشها الإمام (ع)، بعد رسول الله (ص) :

وهي مرحلة إضطلاعه، بمسؤولية القيادة المباشرة للأمة الإسلامية، في جميع شؤونها الحياتية.

فقد اتسمت هذه المرحلة بأحداث غاية في الأهمية، على الصعيد الفكري، والاجتماعي، السياسي، - كما سترى.

وال التاريخ الإسلامي، قد شهد عبر السنوات الخمس التي قضتها علي (ع) حاكماً للمسلمين، لونين من الأحداث:

أحدهما: يتعلق بما سجله الإمام (ع) على صفحات التاريخ الإنساني، من القيم الرفيعة، التي اتسمت بها سياساته الفاضلة، التي تبناها من أجل وضع حدود الله تعالى، وشريعته العظيمة، موضع التنفيذ، كاملة لا نقص فيها، ولا تحايل عليها، ولا تفريط، ولا أنصاف حلول، وعلى شتن الأصعدة الحياتية ..

وثانيهما: ما يتعلق بردود الفعل السياسية التي قام بها بعض الناس والتي سجلها التاريخ الإسلامي.

وفي هذه الدراسة التي بين يديك - أيها القاريء العزيز - ستقرأ شطراً من سيرة أمير المؤمنين (ع)، وهو يعيد لجهاز الدولة مسؤولياته الحقيقية، في حماية رسالة الله تعالى، وإقامة حدودها في الحياة، والعمل على كل ما من شأنه توفير السعادة للإنسان، وبناء شخصيته وتحصينها ..

وتقرأ عن علي (ع) كذلك، دوره في التصدي، سواء للذين نكثوا أو مرقوا أو قسطوا ..

ومن خلال هذا الشطر من حياة الإمام أمير المؤمنين (ع)، ستقرأ شواهد من بنود عدالته الإجتماعية، التي جسدها في الواقع الاجتماعي، وموافقه الإنسانية وشدة تمسكه بشرعية الله تبارك وتعالى.

والأمر الذي نسأل الله تعالى أن يوفق أمتنا الإسلامية للأخذ به، في حياتها العملية، هو الإلتزام الكامل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآلـه وسلم، كما جسدهما عملاً الإمام علي بن أبي طالب (ع).

الأمام الخليفة

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان أجمعـت الأمة على بيعة الإمام علي (ع) خليفة لها، وقد اجتاحت النـفوس موجـة من العاطفة نحوـه، ولكـنه ردـ الأمة بقولـه: «.. دعـونـي وـالـتمـسـواـ غـيرـي»^(١).

إنـ عليـاًـ أـبـيـ أـنـ يـكـونـ أـسـيرـ لـالـعـاطـفـةـ، فـلـعـلـ نـقـمـةـ بـعـضـ النـاسـ عـلـىـ عـشـمـانـ هـيـ التـيـ أـجـجـتـ نـحـوـهـ الـعـاطـفـةـ وـشـدـتـ إـلـيـهـ التـيـارـ، وـهـوـ يـرـيدـ مـنـ الـأـمـةـ إـقـرـارـاـ إـرـادـيـاـ لـإـمـامـتـهـ..

ثـمـ أـنـ عـلـيـاـ لـيـسـ مـمـنـ تـغـرـيـهـ الـمـنـاصـبـ وـتـسـتـهـوـيـهـ الـكـرـاسـيـ حـتـىـ يـسـتـجـيبـ فـورـ إـقـبـالـ النـاسـ عـلـيـهـ، فـإـنـ الـأـمـرـ كـلـهـ لـاـ تـساـوـيـ لـدـيـهـ جـنـاحـ بـعـوـضـةـ. بلـ الدـنـيـاـ كـلـهـ عـنـدـهـ كـعـفـطـةـ عـنـزـ. عـلـىـ حـدـ تـعـبـيرـ لـهـ - وـالـقـيـادـةـ لـاـ تـساـوـيـ عـنـدـهـ شـيـئـاـ مـذـكـورـاـ، إـنـ لـمـ يـقـمـ مـنـ خـلـالـهـاـ الـحـقـ وـيـبـطـلـ الـبـاطـلـ.

ولـهـذـاـ لـمـ يـسـتـجـبـ لـضـغـطـ الـجـمـهـورـ فـيـ بـادـيـءـ الـأـمـرـ، قـبـلـ وـضـعـهـمـ أـمـامـ اـخـتـيـارـ لـيـتـأـكـدـ مـنـ مـدـىـ قـدـرـةـ النـاسـ عـلـىـ تـلـقـيـ مـنـاهـجـهـ وـالـإـسـتـجـابـةـ

(١) نـهجـ الـبـلـاغـةـ صـ ١٣٦ـ، تـبـوـبـ الدـكـتـورـ صـبـحـيـ الصـالـحـ.

لخططه إذا تسلم زمام الأمر.

فبالرغم من أن العاصمة المقدسة «المدينة المنورة» قد أصرت على اختياره على شكل تظاهرات حقيقة وتجمعات مكثفة حتى صارت المطالبة بقيادته إجماعية ولا جماعية، فإنه (ع) بقي عند موقفه المتريث، بيد أن إصرار الأمة على بيعته جعلته يطرح عليها شروطه لقبول الخلافة، فإن باياعته الأمة وفقاً لما ي ملي من شروط استجواب هو لمطلبها في استخلافه . . .

وحين أذاع بيانه المتضمن لشروطه «... واعلموا أنني إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم، ولم أصلح إلى قول القائل وعتب العاتب . . .»^(١). سارعت الأمة مذعنـة لشروطه، ومدت يد البيعة على الطاعة إليه، فليـي مطلبـها ليواجهـ مسؤولياتـ الـقـيـادـةـ فيـ الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ عـلـىـ الصـعـيدـ الـفـكـريـ وـالـعـلـمـيـ . . .

وقد كانت من أولى مهامـهـ (عـ)ـ أنـ يـزـيلـ صـورـ الإنـحرـافـ التـيـ طـرـأـتـ عـلـىـ الـحـيـاةـ الـإـسـلـامـيـةـ،ـ وـأـنـ يـعـودـ بـالـأـمـةـ إـلـىـ أـصـالـةـ الـمـنـهـجـ الـإـلـهـيـ .

ومن أجل ذلك كان لا بد أن يسير وفق منهج محدد وشامل يلزم ولاته بتطبيقـهـ . . وقد انصـبـ منهجـ حـكـومـتـهـ عـلـىـ مـوـاجـهـ الـمـشـاـكـلـ فيـ الـمـيـادـينـ الـأـتـيـةـ.

١- الميدان السياسي:

لقد حدد الإمام (ع) مواصفات ولاة الأمر وموظفي الدولة الذين يرشحـهمـ الإـسـلـامـ لإـدـارـةـ شـؤـونـ الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ بـبـيـانـ أـصـدرـهـ (عـ)ـ جاءـ فيهـ :

(١) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

«.. أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل ف تكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيفضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعنهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ وما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة..»^(١).

في ضوء هذا التحديد الموضوعي لصفات كادر الموظفين الذين يقرهم الإسلام عمد الإمام علي (ع) إلى الإستغناء عن خدمات قسم من الولاة الذين كانوا يتلون أقاليم الدولة الإسلامية.. لأن علياً (ع) لسو ساوم - كما يريد بعض المؤرخين - لتعذر على الأجيال المسلمة التماس الصورة الحقيقة للشريعة التي أبعث الله بها رسوله العظيم صلى الله عليه وآله وسلم

٢- الصيadan الاقتصادي:

كما عمد الإمام علي (ع) إلى إصلاح الوضع السياسي والإداري كذلك فعل بالنسبة للوضع الاقتصادي فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور مباشرة إلى إلغاء طريقة توزيع المال التي اعتمدت فيما سبق.

فقد استبدل الإمام طريقة التمييز في العطاء بطريقة المساواة في التوزيع التي مارسها رسول الله (ص).

(١) نهج البلاغة رقم ١٣١ تبوب صبحي الصالح.
نهمته: شهوته الشديدة وحرصه المفرط.

الحائف: الجائر، الظالم.

الدول: المال، والحايف للدول معناه الذي يظلم في توزيع الأموال فيفضل جماعة على أخرى.

المقاطع: الحدود التي حددها الله تعالى.

فالغى الإمام (ع) كل أشكال التمييز في توزيع المال على الناس، مؤكداً أن التقوى والسابقية في الإسلام والجهاد، والصحبة للرسول (ص) أمور لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا، وإنما تلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة، ومن كان له قدم في ذلك، فالله تعالى يتولى جزاءه، أما في هذه الدنيا فإن الناس سواسية في الحقوق المالية وأمام القضاء الإسلامي وفي الواجبات والتکاليف.

وقد تضمن بيانه التالي هذه الأفكار الجليلة العادلة: «ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآلـه يرى أن الفضل له على سواه لصحابته فإن الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله ..

وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الشواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار..»^(١).

وهكذا جسد الإمام (ع) مفهوم التسوية في العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الإسلامية دون تمييز لأي سبب من الأسباب.

هذه بعض ملامح العملية الإصلاحية التي قادها الإمام علي (ع) في شتى مرافق الحياة الإسلامية، في المال والحكم والإدارة وسواها.

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج ١ ص ٢٦٩.

منهج الإصلاح

وضع الإمام (ع) خطة الإصلاحية الشاملة، وقد انصبَ جلّ اهتمام الإمام (ع) على إصلاح شؤون الإدارة والإقتصاد والحكم كمقدمنا.

ومن خلال ذلك العمل الإصلاحي الكبير حظيت الأمة عبر مسيرتها الجديدة التي اختطها لها أمير المؤمنين (ع)، بمعطيات جمة ذات مردودات عظيمة لصالح الأمة والمسيرة بشكل عام، نذكر منها ما يلي :

أولاً: استعانة الإمام (ع) بجهاز من الولاة والموظفين لإدارة دفة الحياة الإسلامية يعُدّ أفراده نموذجاً في مستواهم الروحي والفكري والإلتزامي : كعثمان بن حنيف، ومحمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر وسواهم .

على أن تلك النماذج الخيرة من الرجال، وإن كانوا في مستوى لائق في الفكر والعمل والقدرة الإدارية والقيادية، إلا أن الإمام (ع) قد زودهم بخط هادية ومناهج راسدة، يهتدون بها في حياتهم العملية، وفي علاقاتهم مع مختلف قطاعات الأمة التي يباشرون قيادتها.

فهو يلزم ولاته بالنصح لعباد الله، وإشاعة العدل بينهم ومعاملتهم باللين والحب، والتجاوز عن كل مظاهر الإستعلاء التي يعرى بها المنصب غالباً والحيلولة دون تأثير ذوي النفوذ الاجتماعي في مسيرة العدالة الإسلامية على حساب القطاعات الاجتماعية الأخرى، ونحو ذلك من مستلزمات إشاعة العدل وإقامة الحق بين الناس.

وهذه نماذج من خططه في هذا المضمار:

«... فأنخفض لهم جناحك وأنل لهم جانبك وابسط لهم وجهك وأأس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسائلكم عشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وأن يعف فهو أكرم...»^(١).

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشياطين، واعلم إن ما قربك من الله يبعرك من النار، وما باعرك من الله يقربك من النار»^(٢).

هذه صورة من توجيهات الإمام (ع) التي ألزم ولاته بالعمل على ضوئها في حياتهم العملية.

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن الإمام (ع) بالرغم من اهتمامه

(١) من عهده (ع) إلى محمد بن أبي بكر حين ولاد مصر، نهج البلاغة ص ٣٨٣.
تبوب د. صبح الصالح.

آس = ساو بينهم. حيفك لهم = ظلمك من أجلهم.

(٢) وصيته إلى عبد الله بن عباس حين استخلفه على البصرة نهج البلاغة، د. صبحي الصالح رقم ٧٦.

سع الناس = أسلفهم برعايتك في كل جانب من جوانب الحياة.
طيرة = طيش وخفة.

بانتقاء العناصر الكفوعة والورعه فإنه كان يحرص على الإحاطة بأساليبهم في معاملة الأمة من خلال مراكيزهم القيادية باستعانته بجهاز من الرقباء والعيون ليرى مدى طاعة الولاية وتنفيذهم لقواعد العدالة الإسلامية، فإذا بدا من أحدهم خطأ أو تقصير، بادر الإمام إلى تقويم سلوكه بالوسائل التربوية تارة وبالتهديد أو بالعزل إذا لزم الأمر، وهذه نماذج من وسائله تلك: -

فقد بلغه أن عثمان بن حنيف (رض) واليه على البصرة دعاه بعض شخصيات أهل البصرة إلى مأدبة، فخشى الإمام (ع) أن تستميله تلك الوسائل أو سواها فينحرف عن خط العدالة الإسلامية المرسوم فيميل في أحکامه أو يجور في قضائه ومعاملته للأمة، فكتب إليه كتاباً أجاء فيه: «أما بعد، يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظنت أنك تجib إلى طعام قوم، عائلهم مجفون، وغنيهم مدعوه، فانظر إلى ما تقتضمه من هذا المقصص، مما اشتبه عليك علمه، فالفظة وما أيقنت بطيب وجهه، فنل منه.. .

الآلا وإن لكل مأمور إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، الآلا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطرميته، ومن طعمه بقرصيه، الآلا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد.. »^(١).

(١) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح ص ٤١٦.

مأدبة طعام = طعام دعوة أو عرس.

يستطاب لك = يطلب لك طيبها.

الألوان = أصناف الطعام.

الجفان = جمع جفنة وهي القصعة.

وقد كتب إلى مصقلة الشيباني عامله على (أردشير خرة) مهدداً ومتوعداً (بلغني عنك أمرٌ أن كنت فعلته، فقد أسرخت إلهك وعصيت أمامك: إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماءهم، فيمن اعتماك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة وبرا النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك على هوانا، ولتخفنْ عندي ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تطمح دنياك بمحق دينك، ف تكون من الأخسرين أعملاً) ^(١).

وكتب إلى أحد عماله يقول: «أما بعد فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسرخت ربك، وعصيت إمامك، وأخذت أمانتك، بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فأرفع إليّ حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس...» ^(٢).

وكما كان الإمام (ع) يخطط للولاة ويزودهم بنصائحه الهادمة، كان يرسم الخطط كذلك لقادة جيشه، ويوضح لهم معالم الطريق، وما ينبغي عليهم فعله عند مواجهة العدو.

العائل = المحتاج.

المجنو = مطرود (من الجفاء).

قضم = أكل بطرف أسنانه.

المقضم = المأكل.

الفحظة = اطرحه، لا تأكله.

الطمر = الثوب البالي.

طعنه = ما يطعمه ويفطر عليه.

قرصن = رغيف خبز.

السداد = الاحتراز من الخطأ.

(١) المرجع السابق ص ٤١٥ أعتماك: اختارك وأصله أخذ العيمة: وهي خيار المال.

(٢) المرجع السابق ص ٤١٢ جردت الأرض: إشارة إلى الخيانة بتخريب الأراضي.

فكان (ع) ينهاهم عن البغي، ويأمرهم بعدم إثارة الحرب من جانبهم، وإنما ينبغي التسلح بالصبر وضبط النفس، وأن يكونوا في بداية المواجهة كما لو كانوا مدافعين فحسب، فإذا اعتقدوا عليهم فقد قامت الحجة لصد العدوان، فإذا قدر وانتصروا على عدوهم فلا يباح أن تحملهم نشوة الظفر على عدوهم إلى ملاحة جنوده الهاربين من القتال، أو الذي لا يملك منهم سلاحاً يدافع به عن نفسه، كما لا يجوز قتل الجرحى، أو الإساءة إلى النساء، وأن بدأن الإساءة بسبب أو شتم أو نحوه.

وهذه بعض وصاياته (ع) لجيشه:

«... لا تقاتلواهم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً^(١) ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمهاتكم...»^(٢).

«... ألا وإن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت الله عليكم النعمةولي عليكم الطاعة، وألا تنكسوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق...»^(٣).

وبالنظر للأهمية البالغة التي يحتلها جهاز جباية الأموال في

(١) المعور: الذي عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب.

(٢) نهج البلاغة، وصيته (ع) رقم ١٤ ص ٣٧٣، د. صبحي الصالح.

(٣) نفس المصدر من كتاب له إلى أمراء جيشه رقم ٥٠ ص ٤٢٤.

الدولة الإسلامية حيث تشكل الحقوق العامة في ملكية الأفراد عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الإسلامي، فإن حق الجماعة في الملكيات الخاصة يوفر ضمانة كبرى لمساعدة الدولة الإسلامية على تغطية نفقاتها الكبرى على الصعيد الاجتماعي والعسكري وغيرها من جوانب الحياة العامة.. أقول بالنظر لأهمية جهاز الجباية هذا فقد أولاً الإمام (ع) عنابة فائقة لا من أجل أن يجمع أكبر نصيب من المال أبداً، وإنما من أجل أن ينخرط -ذلك الجهاز- في مسيرة العدالة الإسلامية المثلثي التي جسدها الإمام (ع) في حياة الناس.. فكان الإمام حريصاً على أن يتلزم موظفوها ذلك الجهاز بأقصى درجات العدل والفضيلة والنبل، والشعور بالمسؤولية فليست مهمتهم في نظر الإمام (ع) أن يجمعوا المال من أجل المال، وإنما ينبغي عليهم أن يتذمروا الحق في تعاملهم مع الأمة وأن يعكسوا عدالة الإسلام لمن يتلقون بهم من الناس، فلا ينبغي أن يغضبوا أحداً من الناس، ولا يسيئوا معاملة أحد، ولا يضرموا إنساناً من أجل درهم مثلاً، ولا يجوز أن يعتدوا على مال أمراء من المسلمين أو من غيرهم ممن يتمتع بحق التابعية للدولة الإسلامية.

كما لا يجوز أبداً أن يبيعوا كسوة إنسان أو دابته من أجل استيفاء المال، ولا يحق لأحد الجباة أن يردع أحداً أو يستوفи أكثر من حق الله في ماله، ولا ينبغي أن يستعلي على الناس أو يدخل عليهم بالتحية أو اللطف والمرونة في معاملتهم إلى غير ذلك من وصاياته (ع).

وهذه صور من مناهجه في هذا المضمار:

«.. فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة ولا تحسموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبه، ولا تبيعنَّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً، ولا

تضربنَّ أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسنَّ مال أحد من الناس مصلٌّ
ولا معاهد..»^(١).

«... انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعَنْ
مسلمًا ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في
ماله، فإذا قدمت على الحي فأنزل بما لهم من غير أن تخالط أبياتهم،
ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا
تخدج^(٢) بالتحية لهم. ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم ولـي الله
وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل الله في أموالكم من
حق فتأدوه إلى ولـيـه..»^(٣).

ثانياً - تجسيد المخطط الإسلامي للعدالة الإجتماعية بأجلـى
صورة وأدق تفصيلاته.

إذا كانت جميع جوانب الجهاز الحكومي في الدولة الإسلامية
قد تناولتها يـد الإصلاح، فتحققـت أرقى النماذج التي يصبـوـ إليها
الإنسان، فإن الإمام (ع) قد خطـاـ في سبيل تحقيقـ أفضل صورة للعدالة
الإجتماعية وفقـاـ للتصورات الإسلامية التفصـيلـية.

فقد شهد المجتمع الإسلامي بـجميع قطاعاته وقوـاه عـدـالة رـائـدة
كـالـتي شـهـدـها أيام رسول الله (صـ) في منـطـلـقـاتـها وأـبعـادـهاـ.
وفيـما يـليـ شـواـهـدـ منـ تلكـ التجـربـةـ التـارـيـخـيةـ المشـعـةـ التيـ تـفـيـأـتـ
الأـمـةـ ظـلـالـهـ:

-
- (١) نهج البلاغة من كتاب له إلى أعماليه على الخراج رقم ٥١ تبوب د. صبحي
الصالح.
- (٢) لا تخدع بالتحية = لا تدخل بالسلام عليهم والسؤال عن أحوالهم.
- (٣) نهج البلاغة كتاب لمن يستعمله على الصدقات رقم ٢٥.

أ. رفق وتعاهد:

فقد شهدت قطاعات الأمة جميعاً صوراً من التعاهد لأمرها والرفق بها ورعايتها لشئونها، والتسوية في العطاء بين جميع حملة التابعية للدولة الإسلامية التي تجسدها هذه النصوص: «المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لأفضل لأحد على أحد».

وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً»^(١).

أقول إلى جانب هذا وذاك، شهدت الأمة التي قادها أمير المؤمنين (ع) بمختلف قطاعاتها من ألوان التدبير لشئونها، والرعاية لأمورها، والحدب عليها ما حقق لها القوة والسعادة وهذه صور منها:
عن الحَكْم قال :

شهدت علياً، وأتي له بزقاق من عسل، فدعا اليتامي وقال: ذوقوا، والعقووا، حتى تمنيت أنني يتيم، فقسمه بين الناس وبقي منه زق، فأمر أن يسقاه أهل المسجد»^(٢).

وعن هارون بن عترة عن زاذان قال: انطلقت مع قنبر غلام علي (ع) فإذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً.

قال (ع): وما هو، ويحك!!

قال: قم معي ..

فقام فانطلق به إلى بيته، وإذا بغرارة مملوءة ما جامات ذهباً

(١) روائع نهج البلاغة = خورج جرداق ص ١٦٣ .

الخزامة = حلقة من شعر توضع في وترة أنف البعير يشد بها زمامه ويسهل قياده .

(٢) أنساب الأشراف للبلذري ج ٢ ص ١٣٦ .

وفضله، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال.

فقال عليٌّ (ع): ويحك يا قنبر، لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة ثم سل سيفه، وضربها ضربات كثيرة، فانشرت.. ثم دعا بالناس، فقال: اقسموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبراً ومسال فقال: ولتقسموا هذا..^(١).

وعن الحكم قال: إن علياً قسم فيهم الرمان حتى أصاب مسجدهم سبع رمانات، وقال: أيها الناس أنه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها، ونستقلها إذا قسمناها، وإنما قد قسمنا كل شيء أثانا.

قال: وأنته صفائح فضة فكسرها، وقسمها بيننا.

وعن علي بن ربيعة قال: جاء ابن التياح إلى علي بن أبي طالب (ع) فقال: يا أمير المؤمنين امتلاً بيت المال من صفراء وببيضاء.

فقال علي: الله أكبر، ثم قام متوكلاً على يد ابن التياح، فدخل بيت المال وهو يقول: -

هذا جنائي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه^(٢)
ثم نودي في الناس، فأعطي - علي - جميع ما في بيت المال
وهو يقول: «يا بيضاء، ويا صفراء، غري غيري».

(١) شرح النهج تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ط / ١٣٩٧هـ م ١، ص ١٩٨ و ١٩٩.

(٢) مثل يضرب، أراد به الإمام (ع) أنه لم يصب شيئاً من مال المسلمين بل وضعه في مواضعه. تذكره.
الخواص: سبط انب الجوزي ص ١١٧.

حتى لم يبق فيه درهم ولا دينار، ثم أمر بنضجه، فصلى فيه ركعتين (ع).

وكان لشدة حرص الإمام (ع) على الأمة لرفع غائلة الفقر والظلم عنها أنه التزم السير - عبر أيام خلافته عليها - وفقاً للنهج الآتي: «... ولو شئت لاختذلت الطريق إلى مصفي هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيئات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعياً إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشعب. أو أبیت مبطاناً، وحولي بطنون غرثى، وأكباد حرى؟

أقعن من نفسي بأن يقال هذا: أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟»^(١).

بـ. رقابة دقيقة لوضع السوق:

ولقد كان الإمام علي (ع) حريصاً على تجسيد العدالة الاقتصادية في كافة مراافق الحياة الإنسانية ومن أجل ذلك فقد التزم خطة لمراقبة السوق من ناحية البيع والشراء وطبيعة ما يعرض للبيع، للحيلولة دون التطفيق في المكاييل والتلاعب بالأسعار أو الغش، فعن الإمام الباقر (ع) قال «كان أمير المؤمنين (ع) كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرة على عانقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيبة، فيقف على سوق فينادي:

يا عشر التجار قدموا الإستخاراة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتعدين، وترzinوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب، واليمين، وتجادلوا عن الظلم، وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا و«أوفوا الميكال والميزان

(١) نهج البلاغة من كتاب له إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥ ص ٤١٨.

بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثروا في الأرض
مفسدين»^(١).

وعن أبي النوار قال:

رأيت علياً (ع) وقف على خياط، فقال له: يا خياط صلب
الخيط، ودق الدرز، وقارب الغرز، فأني سمعت رسول الله (ص)
يقول (يؤتى يوم القيمة بالخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه،
وخان فيه، فيفتبضح على رؤوس الإشهاد).

ثم قال: «يا خياط إياك والفضلات والسقطات فإن صاحب
الثوب أحق بها..»^(٢).

هكذا جسد الإمام أمير المؤمنين (ع) المخطط الإسلامي للعدالة
الاجتماعية بأدق صورها، وهكذا عامل الأمة بالرفق والحب فعاش
آمالها وألامها حتى قطفت أروع ثمار العدل في تاريخها كما كانت
في عهد رسول الله (ص) سواء بسواء.

ج - تبين الإمام علي (ع) سياسة نكران الذات لصالح الأمة وذلك
بالزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعون من مال وملذات وزخرف،
فلقد عاش أمير المؤمنين في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه فقراء
الأمة، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأته أو يطحنه بيده سواء في ذلك
قبل خلافته، وبعدها:

وكان يلبس أخفن لباس وأبسطه وكان مبدئه الثابت في هذا

المضمون:

(١) من سورة هود / ٨٥، راجع بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٠٤ من آمال الصدوق
وتذكرة الخواص ص ١٣٤ وأنساب الأشراف للبلذري ج ٢ ص ١٢٩ مع اختلاف
يسير في الألفاظ.

(٢) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ١٢٥.

«... ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه»، «فوالله، ما كنرت من دنياكم تبراً، ولا ادخلت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه كقوت أتان دبرة، ولهمي في عيني أو هن من عصبة مقرة»^(١).

وبمقدورنا أن نلمس سياسة الإمام (ع) هذه مع نفسه من خلال المصاديق التالية:

عن هارون بن عترة عن أبيه قال:
دخلت على علي بالخورنق، وهو في فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة.

فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك وأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك!!
فقال (ع) والله ما أرزوكم -أنقصكم- شيئاً، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة»^(٢).

وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقوله «يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!». فأجابه علي (ع):

(١) كتابه لعثمان بن حنيف نهج البلاغة رقم النص ٤٥ ، التبر: فتاوى الذهب والفضة قبل الصياغة.

الوفر: المال الطمر: الثوب الخلق البالي.

اتان دبرة: التي عقر ظهرها فقل أكلها.

(٢) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ١٢١ وعقربية الإمام للعقد ص ١٦ ط. بيروت ١٩٦٧.

«ويحك أني لست كانت. إن الله تعالى فرض على أئمة العدل
أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلاً يتبيّن بالفقر فقره»^(١).

وعن سعيد بن غفلة قال دخلت على علي (ع) يوماً وليس في
داره سوى حصير رث وهو جالس عليه.

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم
وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير؟
قال (ع): يا سعيد إن البيت لا يتأثر في دار النقلة وأمامنا دار
المقامة، وقد نقلنا إليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها عن قريب^(٢).

وها هو علي يخرج سيفه لبيعه في السوق كي يشتري بشمنه
أزاراً، وهو أمير المؤمنين وزعيم الأمة الإسلامية الذي تجلى إليه
الأموال من جميع بقاع العالم الإسلامي.

فعن أبي رجاء قال: أخرج علي (ع) سيفاً إلى السوق فقال:
«من يشتري مني هذا؟ فوالذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار
ما بعته»!!!

فقلت له: أنا أبيعك إزاراً وأنسوك ثمنه إلى عطائك، فدفعت
إليه إزاراً إلى عطائه، فلما قبض عطاءه دفع إليّ ثم الإزار^(٣).

إنه (ع) لا يأخذ من فيهم شيئاً، وإن قدر له الخروج من
بلدهم، فلا يخرج إلا بالذى جاء به من المدينة المنورة: راحلته
ورحله وغلامه.

(١) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح رقم ٢٠٩ ص ٣٢٤.
يتبيّن: يستبد به ألم الفقر.

(٢) تذكرة الخواص ص ٦٨.

(٣) شرح في نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.

فعن بكر بن عيسى قال: كان علي (ع) يقول: «يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحتي، ورحي وغلامي فلان، فأننا خائن».

فكانت نفقة تأيه من غلته بالمدينة بينبع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت.

ولشدة حرصه (ع) على سلوك سبيل رسول الله (ص) في عدله وزهده أشار عقبة بن علقة قال دخلت على علي (ع) فإذا بين يديه لبن حامض، آذني حموصته، وكسر يابس.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟

فقال لي: يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل أيس من هذا، ويلبس أحسن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فإن أنا لم أخذ بما أخذ به خفت ألا الحق به^(١).

ولعظيم إيثاره للأمة على نفسه ما رواه عبد الله بن الحسين بن الحسن (ع) قال: أعتق علي (ع) في حياة رسول الله (ص) ألف مملوك مما عملت يداه، وعرق جبينه.

ولقد ولـي الخليفة، وأنته الأموال فـما كان حلواه إـلا التمر ولا ثيابه إـلا الكرابيس^(٢).

وعن سفيان الثوري عن عمر بن قيس قال: روـيـ علىـ عليـ (ع)ـ إـزارـ مرـقـوـعـ،ـ فـعـوـتـبـ فـيـ ذـلـكـ،ـ فـقـالـ:ـ «ـيـخـشـعـ لـهـ الـقـلـبـ،ـ وـيـتـقـدـيـ بـهـ الـمـؤـمـنـ»^(٣).

(١) المرجع السابق ص ٢٠١.

(٢) نفس المرجع ص ٢٠٢.

(٣) تذكرة الخواص ص ١٢١.

ولقد بلغ في شدة زهده (ع) ونكرانه لذاته ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلّى عبر عبارته «... والله لقد رقت مدرعي هذه حتى استحيت من راقعها، ولقد قيل لي : ألا تستبدل بها غيرها؟ فقلت للقائل : «ويحك أعزب»، فعند الصباح يحمد القوم السري»^(١).

هذه بعض بنود منهاج علي (ع) مع نفسه وهي تمثل إحدى رواد العدالة الإسلامية التي جسدها الإمام (ع) في دنيا الناس أسوة برسول الله (ص).

د. مساواة أهل بيته بسائر الناس:

أما منهاج أمير المؤمنين (ع) الذي سلكه في أهل بيته وقرباته فلم يكن بعيداً عن منهاجه مع نفسه إلا من حيث الدرجة ، فقد كان مبنياً على أساس مساواتهم بالأمة في الحقوق والواجبات ، بل إن الذي يتحملونه من مهام من أجل حماية الرسالة والمسيرة أكثر بكثير مما ينالون من حقوق ...

كان الإمام (ع) حريصاً على معاملة ذويه في مسألة الحقوق كما لو كانوا من عامة الناس ، فلا يفضلهم بعطاء ، ولا يميّزهم بحق ، فلقد سلك معهم أسلوب التدريب والإعداد للعمل بمنهاجه معهم ، بل كان يبدو شديداً مع بعضهم من أجل يتّهيج الخط الذي رسمه الإمام (ع) لمتعلقيه وأهل قرابته .

وهناك صوراً من منهاجه ذلك :

قال مسلم صاحب الحنا :

«لما فرغ علي (ع) من أهل الجمل أتى الكوفة ، ودخل بيت

(١) المرجع السابق ص ١٢٥ . المدرعة: ثوب صوفي غليظ.

المال، ثم قال: يا مال غُرُّ غيري، ثم قسمه بيننا، ثم جاءت ابنة للحسن أو للحسين (ع) فتناولت منه شيئاً، فسعي وراءها ففك يدها وزرعه منها، فقلنا: يا أمير المؤمنين إن لها فيه حقاً، قال (ع) إذا أخذ أبوها حقه فليعطيها ما شاء^(١).

وروى هارون بن سعيد قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي (ع): يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أن نفقة، فوالله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي !!

فقال الإمام (ع) لا والله، ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق . فيعطيك ..^(٢).

وقد جاءه أخوه عقيل - وكان ضريراً - يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين - زيادة على حقه - وظل يكرر طلبه على علي (ع) فما كان من الإمام أمير المؤمنين إلا وأحمس له حديدة على النار وأدناها منه، ففزع منها عقيل ثم وعظه (يا عقيل أتئن من حديدة أحماها أنسانها للعبة وتجربني إلى نار سجراها جبارها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لطفي ..)^(٣).

وعن أبي صادق عن علي (ع): إنه تزوج ليلى، فجعلت له حجلة، فهتكها، وقال:

حسب آل علي ما هم فيه^(٤).

وعن الحسن بن صالح بن حبي قال:

(١) أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.

(٣) و (٤) بحار الأنوار ج ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ في المسابقة بالzedd. حجلة: ستري ضرب للعروض في الليل.

- بلغني أن علياً (ع) تزوج امرأة فنجدت - زينت - له بيتاً، فأبى أن يدخله^(١).

وعن كلاب بن علي العامري قال:

زفت عمتي إلى علي (ع) على حمار بأكاف تحتها قطيفة،
وخلفها قفة معلقة^(٢) !!

هكذا كان منهاج علي (ع) مع أهل بيته وذوي قرابته لا يفرط من أجلهم بحق من حقوق المسلمين، بل يعمل كل ما من شأنه على رفع مستوىهم باتجاه مبادئه في الزهد، ونكران الذات في سبيل الله تعالى، ولصالح مجتمع الأمة.

ولقد كان منهجه واضحاً كلوضوح لا لبس فيه ولا غموض ولا يخضع لعاطفة أو مساومة أبداً «.. والله لئن أبىت على حسك السعدان مسهدأ أو أجر في الإغلال مصفداً أحبا إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيمة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من العظام. وكيف أظلم أحداً لنفسه يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الشرى حلولها..»^(٣) !!

وهذا السبيل الذي اختاره الإمام (ع) إنما يمثل أحد مصاديق العدل الاجتماعي الشامل الذي حرص أمير المؤمنين (ع) على تجسيده واقعاً حياً في دنيا الناس.

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

أكاف: كسام يوضع على ظهر الدابة، الفقه: إناء من خوض النخل.

(٣) نهج البلاغة رقم النص ٢٢٤.

سياسة دُو الفهل

ويسبب ما ألفه رجالات قريش من أثرة وامتيازات لا حصر لها فقد كبر عليهم أن ينهج الإمام (ع) نهج التسوية في الحقوق - كما أمر الله سبحانه .

فقد أنكر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله على الإمام (ع) سياسته تلك واعتبرها مخالفة للنهج الذي ألفه الناس .

فقال لهما الإمام (ع) : ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي ؟

قالا : إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا ، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله علينا بأسرافنا ورماحمنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا ، وأخذناه قسراً فهراً من لا يرى الإسلام إلا كرهها^(١) .

فقال الإمام (ع) لهم : «لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً إلا

(١) علي بن أبي طالب - نظرة عصرية جديدة / تأليف د. محمد أحمد خلف الله وعد من الكتاب ص ٣٢ .

تخبراني أي شيء كان لكم في حق دفعتكم عنه؟ أم أي قسم استأثرت عليكم به؟ أم أي حق رفعه إلى حد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه؟

والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية أربة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها فلما أفضلت إلى نظرت إلى كتاب الله، وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به، فاتبعته، وما استسن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكم، ولا رأي غيركم ولا وقع حكم جهلته فأستشيركم وأخوانى من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرحب عنكم، ولا عن غيركم.

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة - التسوية في العطاء - فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكم، والله، عندي ولا لغيركم في هذا عتبى، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر... رحم الله امرأ رأى حقاً فاعان عليه، أو رأى جوراً فرده، وكان عوناً بالحق على صاحبه...»^(١).

وهكذا تختلف المنطلقات والمفاهيم، ينطلق علي (ع) مما يأمر به الله تعالى ورسوله (ص) بينما تنطلق المعارضة مما توحى به مصالحها.

وشتان بين منطلق يرمي إلى تحقيق متطلبات الرسالة ومصلحة مجموع الأمة، ومنطلق مادي لا يرى غير المصلحة الذاتية.

(١) نهج البلاغة رقم النص ٢٠٥ د. صبحي الصالح ط ١ بيروت ١٩٦٧.

موقف معاوية:

وما أن تناقلت الأنبياء أمر إستخلاف الإمام علي (ع) ونهوضه بأعباء قيادة الأمة إلا وفزع معاوية بن أبي سفيان معلناً معارضته.

وفي الثناء ورد عليه كتاب من ابن العاص يطلعه على حقيقة الموقف في عاصمة رسول الله (ص).

«من عمرو بن العاص إلى معاوية ابن أبي سفيان: أما بعد، ما كنت صانعاً فاصنعاً، إذ قشرك ابن أبي طالب من كل ما تملكه كما تقرئ عن العصا لحاتها...»^(١).

وها هو الإمام (ع) يكتب لمعاوية كتاباً يستقدمه فيه، بيد أنه لم يستجب للإمام (ع) بل ولم يرد على كتابه^(٢).

وبعد مضي ثلاثة شهور على مقتل عثمان، وقيام الإمام علي (ع) بالأمر يشهر معاوية سلاح المطالبة بدم عثمان، متخذآ منه ذريعة للخروج على إمام زمانه.

وقد بدأت معارضته بنشر ثوب عثمان الدامي في مسجد دمشق وشعيرات من لحيته، وقد جمد عليها الدم، وراح يستثير أهل الشام للنهوض من أجل عثمان والإنتقام ممن قتله، ومن ثم أرسل رسولاً إلى الإمام (ع) حتى إذا وصل الرسول إلى المدينة المنورة جعل يسير في دروبها، وهو يحمل صحيفة مختومة مكتوبآ عليها من «معاوية إلى علي» وهو عنوان يثير الدهشة لدى الناس فهو حال من كل لياقة وكىاسة، كما يشير إلى أن مرسله لا يحمل إلى زعيم المسلمين أي

(١) الإمام علي وفضائله ص ١٧٥، دار مكتبة الحياة / بيروت.

(٢) الفصول المهمة / لابن الصباغ المالكي ص ٥٠ ويراجع نص كتاب الإمام (ع) في نهج البلاغة رقم ٧٥ تبويب د. صبح الصالح «باب الكتب» ص ٤٦٤.

شعور بالإحترام والتقدير.

وقضى الإمام (ع) صحيفة معاوية، فوجدها بيضاء لا حرف فيها
فسأل رسول معاوية: ما وراءك؟

قال بعد أن أستأمن الإمام (ع): إني تركت ورائي أقواماً يقولون
لا نرضى إلا بالقود.

قال الإمام (ع): من؟

قال: يقولون من خيط رقبة علي ، وتركست ستين ألف شيخ يبكون
تحت قميص عثمان ، وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق ،
وأصابع زوجته نائلة معلقة فيه .

فقال الإمام: أمني يطلبون دم عثمان ، اللهم إني أبرا إليك من
دم عثمان ..^(١).

ثم أمر الإمام (ع) رسول الشام أن يغادر بعد أن منحه الأمان.

ومنذ ذلك التاريخ بادر الإمام (ع) بتجهيز جيشه لإخماد حركة
البغاء التي قادها معاوية في الشام .

خلفيات المطالبة بدم عثمان:

ولنا أن نتساءل قبل أن نمضي في حديثنا قدماً، هل كانت
الأطراف في كل من الشام والبصرة صادقة في إدعاء المطالبة بدم
الخليفة الثالث؟

وللإجابة على هذا السؤال الذي يفرض نفسه على الكاتب
والقارئ معاً في هذه المسألة: لا بد من الرجوع إلى موقف تلك

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١.

الأطراف جميعاً أيام الثورة التي تم خضوعها لمقتل عثمان.

فقد كان معاوية يعلم بتفاصيل ما يجري لل الخليفة في المدينة، وقد استغاث به الخليفة أيام الحصار فلم يغتنم بشيء حتى أرسل معاوية جيشاً إلى المدينة بقيادة يزيد بن أسد القسري وقال له: «إذا أتيت ذا خشب - منطقة خارج المدينة - فاقسم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإني أنا الشاهد وأنت الغائب»^(١).

فأقام القسري بجيشه في المكان الذي حدد معاوية، فلما قتل عثمان استدعى معاوية الجيش وقاده إلى الشام.

هذه بعض مواقف معاوية، من عثمان بن عفان أيام حكمه، ومن هنا فإن شعار المطالبة بدم الخليفة القتيل من قبله كان مجرد وسيلة لإستدرار العطف وتجميع الأنصار: فدوافعه الحقيقة إنما تكمن في نقمته على سياسة علي (ع) الإصلاحية والتي كانت تمسّ مصالح بعض طبقات المجتمع بشكل أو بأخر.

وقد أوضح الإمام (ع) عن موقفه إزاء مقتل الخليفة عثمان بقوله: «اللهم إني أبرأ من دم عثمان، ما نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً بلغه»^(٢).

ويتبين موقف الإمام (ع) كذلك من كتاب له إلى معاوية حيث جاء فيه «وقد أكثرت في قتلة عثمان، فأدخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله، فاما تلك التي تريدها فخدعة...»^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٥٤ «شرح كتاب الإمام (ع) إلى معاوية رقم ٣٧».

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

موقف الامام علي (ع) أيام الأزمة:

ومن الضروري جداً أن نشير ولو بشكل مقتضب إلى موقف الإمام (ع) أيام الأزمة التي تعرضت لها الخلافة في عهد عثمان:

فحين هاج الناس في عهد عثمان حاول الإمام (ع) أن يقنع الخليفة بضرورة الإصلاح، وجرى بينهما حديث بهذا الشأن، ومما نصح به الإمام (ع) الخليفة

قوله :

«... وإنني أشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيمة، ويلبس أمرها عليها، ويبيث الفتنة فيها، فلا يصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكونن لمروان سيّقة يسوقك حيث يشاء بعد جلال السن وتقضى العمر...»^(١).

فقال له عثمان: «كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مصالحهم»^(٢).

فقال الإمام (ع): «ما كان بالمدينة، فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه»^(٣).

قال الخليفة: نعم ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام.

فخرج الإمام إلى الناس، وأخبرهم بما وعد به الخليفة، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً وأشهد عليه قوماً من وجوه المهاجرين

(١) (٢) و (٣) نهج البلاغة / تبويب د. صبحي الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤ .

والأنصار^(١).

وحيث لم يتيسر لعثمان أن يبرّ بوعده للناس تأزم الموقف
مجدداً . . .

وقد زاد في حرجه الموقف عشر المصريين الثوار على بريد من
عثمان إلى عامل مصر يأمره بمعاقبة قادة التائرين بالقتل^(٢) ومعاقبة كل
متظلم بالسجن ونحو ذلك . .

فحوصر الخليفة من قبل المهاجمين والطامعين في الخلافة معاً
حتى قطع عنه الماء - كما قدمنا - فاستجذب الإمام علي (ع) فأسرع
لإنقاذه وأرغمه طلحة وسواه، وأدخل إليه الماء^(٣).

وبعد أن طال حصار الخليفة - أربعين يوماً - طلب بعض الناس
من علي (ع) أن يصلّي بهم، فأبى فتولى طلحة إماماً الصلاة . . !

هذه بعض مواقف الإمام (ع) من أجل عثمان . . وبالرغم من
تلك المواقف النبيلة التي وقفها الإمام (ع) من أجل الخليفة فإنه لا
يعني بحال أن الإمام كان راضياً عن سياسة الخليفة في المال
والإدارة^(٤).

يبد أن الإمام (ع) كان يرى في قتل عثمان خطراً يتهدّد الأمة
بالنظر لما يعقبه من تمزق في الصف الإسلامي، وتجرؤ من لدن
المتربيين بالإسلام والمسلمين.

الأمر الذي وقع فعلاً بعد مقتل الخليفة مباشرة.

(١) الطبرى وابن الأثير وغيرهما (نقلأ عن أحاديث أم المؤمنين عائشة ص ٩٨).

(٢) الطبرى وأنساب الأشراف والمعارف لابن قيبة وسواهم (نقلأ عن المصدر السابق
ص ٩٩).

(٣) تاريخ الطبرى وأنساب الأشراف للبلاذري (نقلأ عن المصدر السابق ص ١١٣).

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٥ - ٦.

حرب البصرة

على الرغم من أن طلحة والزبير كانوا من أشد الناقمين على سياسة عثمان ومع أنهما سبقا الناس في البيعة للإمام علي (ع) بعد قتل عثمان، فإن الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام علي (ع) في الحياة الإسلامية لم تجد هوى في نفسيهما فبدأ في العمل للخروج على الإمام (ع) وإثارة المسلمين عليه، فكانت حصيلة ذلك فتنة كبدت الأمة خسارة فادحة.

وقد بذل الإمام علي (ع) جهداً كبيراً لتحاشي هذه الفتنة فلم يأبه جهداً في بذل النصح لهم وتحميلهم مغبة ما سيكون إذا نشب الحرب، وهذه نصيحته (ع) لهم:

«أما بعد يا طلحة، ويا زبير، فقد علمتما أنني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبأ عليهم حتى أكرهونني، وأنتما أول من بادر إلى بيعتي، ولم تدخلوا في هذا الأمر، بسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، وأنت يا زبير، ففارس قريش، وأنت يا طلحة فشيخ المهاجرين، ودفعكمما هذا الأمر قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع لكم من خروجكم منه بعد إقراركم، ألا وهؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه المطالبون بدمه».

وأنتما رجالان من المهاجرين، وقد أخرجتما أمكما من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقر فيه، والله حسبكما..»^(١).

وفي البصرة استمر الإمام (ع) يبذل نصحه من أجل حقن الدماء، فأرسل للناكثين رسولًا يدعوهم للصلاح ورأت الصدوع.

كما التقى بالزبير وذكره بأمره جرت لهما في عهد رسول الله (ص) منها: ما حملك على ما صنعت يا زبير؟

قال: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان!

فقال الإمام: إن أنصفت نفسك، أنت وأصحابك قتلتمنوه، ولكنني أنسدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (ص): يا زبير أتحب علياً، فقلت، وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي.

فقال لك: أما أنك تخرج عليه وأنت له ظالم!

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك.

فقال الإمام: «أنشدك الله أتذكر يوم جاء رسول الله (ص) من عندبني عوف، وأنت معه، وهو آخذ بيده فاستقبلته، فسلمت عليه، فضحك في وجهي، وضحكتك إليه. فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب فهو، فقال (ص) لك: مهلاً يا زبير ليس بعلي فهو، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟

قال الزبير: اللهم بلى، ولكنني قد نسيت ذلك، وبعد أن ذكرتنيه لأنصرف»^(٢).

(١) الفصول المهمة ص ٥٥ لابن الصباغ المالكي.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة / ابن الصباغ المالكي ص ٦٣ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦٧.

وقد عزم الزبير على اعتزال الناس، غير أن ابنه عبد الله وصفه بالجبن أن هو أقدم على ذلك.

وهكذا تفجّر الموقف واندلع القتال بين المعسكرين..

الموقف الانساني:

غير أن الإمام ظل ملتزماً بالصبر والأناة وبما امتاز به من الروح الإنسانية الرفيعة، فها هو يخاطب جيشه - بعد اندلاع القتال، وبعد أن ذهبت كل محاولاتـه لإصلاح الموقف سدى - ملزماً أصحابـه بأرفع الأخلاق التي يريد الله سبحانه من المسلم الإلتزام بها في ساحة الحرب أيها الناس أنسدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً، ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً^(١). طارحاً بذلك أحكام شريعة الله تعالى في البغاء.

ثم دعا ربـه الأعلى سبحانه مستجيراً من الفتنة التي فجرـها الناكثون معلناً براءته منها أمام الله الكبير المتعال.

فبعد أن رفع يديه إلى السماء قال «اللهم إن طحة والزبير أعطـيـاني صـفـقةـ أـيـديـهـماـ طـائـعـينـ،ـ ثـمـ نـصـبـاـ إـلـىـ الـحـربـ ظـاهـرـينـ،ـ اللـهـمـ،ـ فـأـكـفـنـيهـمـ بـمـاـ شـئـتـ وـكـيفـ شـئـتـ..ـ»^(٢).

وقد أسفـرتـ المـعرـكةـ عنـ إـنـتصـارـ سـاحـقـ لـمعـسـكـرـ الإـمامـ (عـ)ـ فـأـعـلنـ الإـمامـ العـفـوـ العـامـ عنـ جـمـيعـ الـمـشـترـكـينـ فيـ حـرـبـهـ:

«أـلـاـ لـاـ يـجـهزـ عـلـىـ جـرـحـ،ـ وـلـاـ يـتـبعـ مـوـلـ،ـ وـلـاـ يـطـعنـ فـيـ وـجـهـ مـدـبـرـ،ـ وـمـنـ أـلـقـ السـلاحـ فـهـوـ آـمـنـ،ـ وـمـنـ أـغـلـقـ بـابـهـ فـهـوـ آـمـنـ،ـ وـلـاـ

(١) الفصول المهمة /للملكـيـ صـ6ـ2ـ وـتـذـكـرـةـ سـبـطـ ابنـ الجـوزـيـ .

(٢) الفصول المهمة لـابـنـ الصـبـاغـ الـمـالـكـيـ صـ6ـ2ـ ،ـ وـتـذـكـرـةـ سـبـطـ بنـ الجـوزـيـ .

يستحلن فرج ولا مال، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك، فهو لو ورثه، ولا يطلبون عبد خارج من المعسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد - الأمة استولدت ذكراً أو أنثى - والمواريث على فريضة الله، وأي امرأة قتل زوجها، فلتتعذر أربعة أشهر وعشراً.

فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟

فقال (ع): كذلك السيرة في أهل القبلة^(١).

بيد أن بعضاً من جيشه كانوا يرغبون الحصول على مغانم أكبر مما حدده الإمام (ع).

فقام له رجلاً قائلاً: يا أمير المؤمنين، والله ما قسمت بالسوية ولا عدلت في الرعية!

قال الإمام (ع): ولم؟ ويحك!!

قال: لأنك قسمت ما في المعسكر وتركت الأموال والنساء والذرية!!

فقال له الإمام موضحاً فلسفه ذلك الموقف الإنساني الذي التزم به:

يا أخا بكر: إنك أمرت ضعيف الرأي أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشد، ولدوا على الفطرة، وإنما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دورهم، فهو ميراث لذریتهم، فإن عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه،

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة ق ١ ص ١٨١، نقلًا عن الباقوري وكتنز العمال.

وإن كفّ لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر: لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (ص) في أهل مكة: قسم ما حوى العسكر، ولم يعرض لما سوى ذلك وإنما اتبعت أثره ..

يا أخا بكر: أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها؟
وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق . . .^(١)

هذه بعض مصاديق الموقف الإنساني الفريد الموافق لأمر الله والمطابق لشريعته الغراء الذي التزم به الإمام علي (ع) في معاملة المنهزمين في خصومه .. إنه موقف لا ترى فيه للعاطفة والإندفاع والتتشيي أثراً .. إنه موقف جسد فيه الإمام حكم الله تعالى.

وهل غير علي (ع) جدير بتجسيد حكم شريعة الله فيما شجر بين الناس؟

وواصل الإمام (ع) خطواته الإنسانية إزاء الناكثين.

وهكذا حسم الموقف لصالح الإمام (ع) في فتنة البصرة فأبدى الإمام (ع) خلاله وبعده أنبيل المشاعر وأصدقها نحو المغرر بهم عحاولاً بذلك رأب الصدع وجمع الشمل وإعزاز الأمة.



OHAL
Organization of the Alexandria Library

حرب طفيف

بعد حين تم لعلي (ع) النصر عاد بجيشه إلى الكوفة، وبعد أن عزّ الجيش عزم على التوجه إلى الشام لتصفية المعارضة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان هناك..

وسار الإمام (ع) على رأس جيشه، غير أن أنباء مسیر الإمام (ع) نحو الشام قد بلغت الناكثين هناك، فقرروا ملاقاة الزحف الإسلامي فتلاقي الجيشان عند نهر الفرات..

وببدأ الإمام (ع) ببذل مساعداته لإصلاح الموقف بالوسائل السلمية، فأرسل وفداً ثلاثة إلى معاوية، يدعوه إلى تقوى الله والحفظ على وحدة الصف والدخول في إجماع الأمة «.. إذهبا إلى هذا الرجل - معاوية - وادعوه إلى الله تعالى، وإلى الطاعة والجماعة، لعل الله تعالى أن يهديه، ويلتئم شمل هذه الأمة»^(١).

والتقى الوفد بقائد المعارضة، وأبلغوه بنوايا الإمام (ع) ووضعوه أمام الله تعالى وحذروه مغبة ما يقدم عليه، غير أن معاوية أبدى

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٧٠.

إصراراً، وقد ختم رده على الوفد «انصرفوا عني فليس عندي إلا السيف»^(١).

على أن الموقف الأموي ذلك لم يصرف الإمام (ع) على التسلع بالصبر والإرادة ولم يثر فيه روح التعجل بالمواجهة الصارمة حقنا للدماء، وحافظاً على نفوس الأمة...

بيد أن الموقف الإنساني الذي التزمه الإمام (ع) لم يزد القوى المعارضة إلا إصراراً، فعملوا من جانبهم على العجلولة دون حصول جيش الإمام (ع) على الماء، حيث سبق أن تحرك فيلق لهم واتخذ موقعاً عند ماء الفرات ليمنع جند الإمام من الماء...

وبالنظر لأهمية الماء في الإستراتيجية العسكرية ولعدم توفر مصدر آخر لجيش الإمام غير الفرات، فإن الإمام (ع) قد التزم الآلة أيضاً في معالجة الموقف.

فأرسل رسولاً إلى معاوية ليبلغه (أن الذي جئنا له غير الماء، ولو سبقناك إليه لم نمنعك عنه).

فرد عليهم معاوية بقوله: «لا والله ولا قطرة حتى تموت ظماً»!!
الأمر الذي اضطر الإمام (ع) إلى استعمال العنف في الحصول على الماء لجيشه، حيث لا بديل للعنف..

وهكذا حرك الإمام (ع) فرقة من جيشه لإنهاء الحصار المضروب عليهم، فانهزم فيلق معاوية شر هزيمة..

(١) نفس المصدر السابق ص ٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣ لابن أبي الحديد / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. ١٩٥٩ م دار إحياء الكتب العربية.

وبعد أن صار الماء في نطاق نفوذ جيش الإمام (ع) أذن للباغين بالتزود منه متى شاؤوا، مجدداً بذلك بنداً من أخلاق الإسلام العظيمة في هذا المضمار.

فأعظم بعلي من محارب نبيل، وأكرم به من صاحب قلب كبير..

وحيث أن هم الإمام (ع) أن يحقن دماء المسلمين ويصونهم من التمزق، ويدرأ التصدع عن صفهم، فقد طلب من معاوية أن ينازله إلى ميدان القتال فيتقاتلا دون الناس لكي تكون إمامية الأمة لمن يغلب «يا معاوية علام يقتل الناس؟ أبرز إلىَّ ودع الناس، فيكون الأمر لمن غالب»^(١).

إلا أن معاوية قد رفض خوفاً من بطش الإمام (ع) وبالغرم من أن الجيش الأموي قد بدأ القتال من جانبه، فإن الإمام (ع) قد التزم بضبط النفس كذلك وحاول أن يحصر القتال في حدود المبارزة المحدودة^(٢).

ولما لم تلق محاولات الإمام (ع) الرأب الصدع - الذي خلفه معاوية في صف الأمة - استجابة، تفجر الموقف بحرب واسعة النطاق استمرت أسبوعين دون هوادة.

وقد لاحت تباشير النصر لصالح معسكر الإمام (ع) وأوشكت القوى الباغية على الإنهاز، فدبروا «خدعة المصاحف» فرفعوا المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف.. مما نجم عن تلك الخطة

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، وتذكرة الخواص لسيط ابن الجوزي، بلفظ متقارب.

(٢) نفس المصدر السابق.

الماكرة تغير جوهرى في الموقف العام.

ولقد كان لرفع المصاحف من لدن معسكر معاوية صدى عميقاً في معسكر الإمام (ع) إذ سرعان ما سارت كثرة كثرة من جيشه مطالبة بإيقاف القتال.. فكثر اللغط بين الصنوف وأثر الآلاف ترك الحرب..

ومع أن الإمام تصدى لكشف خلفيات رفع المصاحف واستعمل كل وسائله الإقناعية في البرهنة على كونها خدعة يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذي بات وشيكاً لصالح جيش الإمام (ع).. إلا أن المطالبين بإيقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة في هذا المضمار، ولعل بعضهم استعمل لغة التهديد للإمام (ع)...^(١).

واضطروه أن يبعث الأشعث بن قيس إلى معاوية للتعرف على ما يريده من وراء رفعه للمصاحف، فعاد يحمل رغبة معاوية في التحكيم.. ثم تلى ذلك الفصل الثاني من المأساة، فاختارت الغوغاء أبي موسى الأشعري لتمثيل معسكر الإمام (ع) بينما اختار معاوية ابن العاص. على أن الإمام (ع) قد رفض فكرة تمثيل الأشعري لمعسكره باعتبار أن الأشعري كان معتزلاً للإمام (ع) ولم يكن يرى في الإمام أهلاً لتولي الخلافة بعد عثمان^(٢) - هو وأخرون من اعتزلوا الإمام (ع) - وكان يخذل الناس عن نصرة الإمام، مما حمل الإمام على عزله من ولاية الكوفة^(٣) ..

وقد رجع الإمام (ع) أن يكون الممثل لمعسكره في التحكيم عبد الله بن عباس، غير أن الغوغاء أصرروا على اختيار أبي موسى

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٠٣ .

(٢) راجع الفصول المهمة ص ٧٨ وتذكرة الخواص ص ١٠٣ .

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٤ .

الأشعري بالرغم من تأكيد الإمام على ضعفه ووهن رأيه إضافة إلى مرتکزاته الفكرية و موقفه من حكومة الإمام (ع).

وها هو الإمام (ع) يخاطب المخدوعين بقوله «قد عصيتموني في أول الأمر - يشير إلى قبول التحكيم وإيقاف القتال - فلا تعصوني الآن، لا أرى أن تولوا أباً موسى الحكومة فإنه ضعيف عن عمرو ومكائده»^(١).

إلا أنهم أصرروا على اختيار الأشعري ..

ومن هنا فإن الباحث البصير لا يمكن أن يرکن إلى الإعتقاد بأن تلك الأمور قد جرت بشكل عفوی أبداً.. فإن سير الأحداث لا يدل على ذلك.. إذ أن رفع المصاحف كان قد جرى بسوقية وتنسيق بين معاوية وحركة موالية له في جيش الإمام (ع) لا بد أن يكون له اتصال معها... .

فما أن ارتفعت المصاحف حتى استجاب أولئك لإيقاف القتال مستفيدين من سأم الناس من القتال، فوسعوا قاعدتهم في صفوف معسكر الإمام (ع) وفرضوا عليه التحكيم، وممثل معسكته في التحكيم فيما بعد.. .

وهكذا فإني لا أعتقد بحال أن لا تكون حركة التمرد في جيش الإمام (ع) بذلك الشكل الذي ذكره المؤرخون لا تعتمد على تحطيط أموي مسبق أبداً.. .

وقد جاءت نتائج التحكيم - كما توقع الإمام (ع) لصالح معاوية حيث بدأ الأمر يستتب له شيئاً فشيئاً.

(١) نفس المصدر ص ٧٩.

حرب النهروان

بعد واقعة التحكيم عاد الإمام (ع) بجيشه إلى الكوفة.. ففوجيء بخروج طائفة من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف، معلنة تمددها على الإمام (ع) فلم تدخل معه الكوفة.. وإنما سلكت سبيلاً إلى حرراء، فاتخذت مواقعها هناك... .

ومن الجدير بالذكر أن الفتنة التي خرجت على الإمام (ع) كان قوام أغلبها من الفئات التي أرغمته على التحكيم في حرب صفين^(١). فعند تمدد تلك الفتنة وخروجهما من جيش الإمام (ع) أعلنت مبررات خروجهما تحت شعار «لا حكم إلا لله، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيبة وزلة حين رضينا بالحكامين، وقد تبنا إلى ربنا، ورجعنا عن ذلك، فارجع - يقصدون الإمام (ع) - كما رجعنا، وإنما فتحن منك براء»^(٢).

(١) يوليوس فلهوزن / الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوي ط ٢، ١٩٧٦ كويت
ص ٣٢.

(٢) وقعة صفين / نصر بن مزاحم ط ٢، ١٣٨٢ هـ ص ٥١٧.

بيد أن الإمام (ع) أوضح لهم حيثنـد أن الخلق الإسلامي يقتضي الوفاء بالعهد - الهدنة لمدة عام - الذي أبرم بين المعسكرين قائلاً: «ويحكم، بعد الرضا والعهد والميثاق أرجع؟

أو ليس الله يقول «أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون»^(١).

إلا أن المعارضة لم تصفع إلى توجيهات الإمام (ع) واستمرروا في غيـهم، وتعاظـم خـطـرـهـمـ بـعـدـ انـضـمـامـ أـعـدـادـ جـدـيـدةـ لـمعـسـكـرـهـمـ، وـراـحـواـ يـعـلـنـونـ القـولـ بـشـرـكـ المـتـمـتـمـينـ إـلـىـ مـعـسـكـرـ الإـمـامـ (ع)ـ -ـ بـالـإـضـافـةـ لـلـإـمـامـ -ـ وـرـأـواـ اـسـبـاحـةـ دـمـائـهـمـ ..

ولقد كان الإمام (ع) عازماً على عدم التعرض لهم ابتداء ليمنـحـهـمـ فـرـصـةـ التـفـكـيرـ جـديـاـ بـمـاـ أـقـدـمـواـ عـلـيـهـ، عـسـىـ أـنـ يـعـودـواـ إـلـىـ الرـأـيـ السـدـيـدـ، وـلـكـيـ يـتـفـرـغـ كـلـيـاـ لـإـسـتـنـافـ الـقـتـالـ معـ الـبـغـاةـ فـيـ الشـامـ، بـعـدـ فـشـلـ التـحـكـيمـ بـعـدـ الـلـقـاءـ الثـانـيـ بـيـنـ الـحـكـمـيـنـ، حـيـثـ تـمـتـ خـدـيـعـةـ عـمـرـوـ بـنـ عـاصـمـ لـأـبـيـ مـوـسـىـ الـأـشـعـرـيـ الـتـيـ أـدـتـ إـلـىـ عـدـمـ تـحـقـيقـ التـحـكـيمـ ..

غـيـرـ أـنـهـمـ بـدـأـواـ يـشـكـلـونـ خـطـرـ حـقـيقـيـاـ عـلـىـ دـوـلـةـ الإـمـامـ (ع)ـ منـ الدـاخـلـ .. وـبـدـأـ خـطـرـهـمـ يـتـعـاظـمـ فـقـتـلـواـ بـعـضـ الـأـبـرـيـاءـ، وـهـدـدـواـ الـأـمـنـيـنـ، فـقـتـلـواـ الصـحـابـيـ الـجـلـيلـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ خـبـابـ وـبـقـرـواـ بـطـنـ زـوـجـتـهـ وـهـيـ حـاـمـلـ مـقـرـبـ دـوـنـ مـبـرـرـ .. وـقـتـلـواـ نـسـوـةـ مـنـ طـيـ.

فـلـمـاـ بـلـغـ أـمـرـهـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ (ع)ـ أـرـسـلـ إـلـيـهـ الـحـارـثـ بـنـ مـرـةـ

(١) النـحلـ / ٩١ رـاجـعـ وـقـعـةـ صـفـيـنـ: نـصـرـ بـنـ مـزـاحـمـ صـ ٥١٧.

العبيدي ، ليتعرف على حقيقة الموقف ، غير أنهم قتلوا كذلك^(١) .

فلما علم الإمام (ع) بالأمر كرّ راجعاً من الأنبار - حيث كان قد اتخذها مركزاً لتجمّع قواته المتوجهة نحو الشام - وعندما اقتربت قواته منهم بذل مساعيه من أجل إصلاح الموقف دون إراقة للدماء ، فبعث إليهم أن يرسلوا إليه قتلة المؤمنين عبد الله ابن خباب والحارث العبيدي وغيرهما وهو يكف عنهم ، ولكنهم أجابوه: أنهم كلهم قتلوا ..

ويبعث الإمام (ع) إليهم الصحابي الجليل قيس بن سعد فوعظهم ، وحذرهم مغبة موقفهم الأحمق ... وأهاب بهم للرجوع عما يرون من جواز سفك دماء المسلمين وتکفيرهم دون وجه حق^(٢) ..

وتتابع الإمام (ع) موقفه الإنساني الرشيد ، فأرسل إليهم أباً أيوب الانصاري (رض) وبعد أن وعظهم ، رفع راية ونادى: من جاء هذه الراية - ومن لم يقتل - فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن لا حاجة لنا به بعد أن نصيب قتلة إخواننا^(٣) .

وقد نجحت المحاولة إلى حد كبير حيث تفرقوا شيئاً بعد شيء حتى انخفض عددتهم إلى أربعة آلاف إذ كان عددهم الثاني عشر ألفاً.

وقد بدأ الباقيون منهم الهجوم من جانبهم على جيش الإمام (ع) فأمر أصحابه بالكف عنهم حتى يبدأوا بالقتال . فلما بدأ الخوارج القتال ، طوقتهم قوات الإمام (ع) وتحقق الظفر لراية الحق .

وهكذا قضى الإمام (ع) في حرب النهروان على حركة الذين سبق لرسول الله (ص) أن سماهم بالمارقين حين أشار إليهم في حديث

(١) الفصول المهمة / للمالكـي ص ٩١.

(٢) المصدر المتقدم ص ٩٢.

(٣) أعيان الشيعة ج ٣ ، ص ٢٠ (عن الطبرـي) والفصـول المهمـة ص ٩٣.

رواه أبو سعيد الخدري قال «سمعت رسول الله (ص) يقول يخرج في هذه الأمة قوم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه نقلًا عن الفضول المهمة ص ٩٤ أو البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢، ص ٣٧٦ عن علي (ع) بلفظ آخر، وخصائص النسائي ص ٧١.

في ذمة الله

أنهى الإمام (ع) مقاومة المارقين، فشمر عن ساعديه لاستئناف قتال القاسطين في الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء الثاني بين الحكمين.

وقد أمر الإمام (ع) بتبعة جيشه، وأعلن حالة الحرب لتصفية قوى المعارضة التي يقودها معاوية، وجاء إعلان الحرب من خلال خطبة لأمير المؤمنين (ع) خطبها في الكوفة - عاصمة الدولة الإسلامية - فضمنها دعوه للجهاد.

«...الجهاد، الجهاد عباد الله! ألا واني معسکر في يومي هذا.. فمن أراد الرواح إلى الله، فليخرج!»^(١).

ثم بادر الإمام (ع) إلى عقد الولية الحرب، فعقد للحسين راية ولأبي أيوب الإنصاري أخرى، ولقيس بن سعد ثالثة.

وبينما كان أمير المؤمنين يواصل تعبئة قواته من أجل أن ينهي حركة المعارضة التي يقودها معاوية في بلاد الشام كان يجري في

(١) نهج البلاغة رقم الخطبة ١٨٢.

الخفاء تخطيط لثيم من أجل اغتيال الإمام (ع).

فقد كان جماعة من الخصوم قد عقدوا اجتماعاً في مكة المكرمة، وتداولوا في أمر حركتهم، التي انتهت إلى أوخم العواقب.

فخرجوا بقرارات كان أخطرها قرار اغتيال أمير المؤمنين (ع) وقد أوكل أمر تنفيذه للمجرم الأثيم (عبد الرحمن بن ملجم المرادي)، وفي ساعة من أخرج الساعات التي يمر بها الإسلام والمسيرة الإسلامية، وبينما كانت الأمة تتطلع إلى النصر على عناصر المعارضة والفرقة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان، امتدت يد الأثيم المرادي إلى علي (ع) فضرب الإمام (ع) بسيف وهو في سجوده عند صلاة الفجر، وفي مسجد الكوفة الشريف، وذلك في صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٤٠ هجرية.

لقد اغتيل الإمام (ع) وهو في أفضل ساعة حيث يقام بين يدي الله في صلاة خاشعة.

وفي أشرف الأيام إذ كان يؤدي صوم شهر رمضان.

ثم هو (ع) في أعظم تكليف إسلامي حيث كان في طريقه لخوض غمار حرب جهادية، كما كان في بقعة من أشرف بقاع الله وأطهرها «مسجد الكوفة».

فطوبى لعلي وحسن مأب.

لكن جريمة قتل علي (ع) تبقى أشرس جريمة وأكثرها فظاعة ووحشية، لأنها جريمة لم تستهدف رجلاً كباقي الرجال، إنما استهدفت القيادة الإسلامية الراشدة.

واستهدفت كذلك اغتيال رسالة، وتاريخ، وحضارة، وأمة كلها تمثل في شخص علي أمير المؤمنين (ع).

وبهذا خسرت الأمة الإسلامية مسيرة وحضارة، وأروع فرصة وأطهرها في حياتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد بقي الإمام (ع) يعاني من علته ثلاثة أيام، عهد خلالها بالإمامية إلى ولده الحسن السبط (ع) ليمارس بعده مسؤولياته في قيادة الأمة الفكرية والاجتماعية.

وكان (ع) طوال الأيام الثلاثة - كما كان طول حياته - لهجاً بذكر الله، والثناء عليه والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، كما كان يصدر الوصية تلو الوصية، والتوجيه الحكيم أثر التوجيه، مرشدًا للخير، دالاً على المعروف، محدداً سبل الهدى، مبيناً طريق النجاة، داعياً لإقامة حدود الله تعالى وحفظها، محذراً من الهوى والنكوص عن حمل الرسالة الإلهية.

وهذه واحدة من وصاياه بهذا الشأن - مخاطباً بها الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص) وأهل بيته وأجيال الأمة:

«أوصيكم بتقوى الله، وألا تبغيوا الدنيا وأن بعثكم، ولا تأسفا على شيء منها زوى عنكم، وقولاً بالحق، واعملوا للأجر وكوننا للظالم خصمًا وللمظلوم عوناً.

أوصيكم، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكم - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامرة الصلاة والصيام».

الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم.

الله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم. ما زال يوصي بهم، حتى ظننا أنه سيورثهم.

الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

الله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم.

الله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم
تنظروا.

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وأسلتكم في سبيل الله.
وعلكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون
فلا يستجاب لكم.

ثم قال:

يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين
خوضاً، تقولون: «قتل أمير المؤمنين» ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي.

أنظروا إذا أنا مت في ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا
تمثلوا بالرجل، فإن سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله
وسلم - يقول: «إيكم والمثلة ولو بالكلب العقور»^(١).

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا الرجل العظيم..

فلقد كانت خسارة الرسالة والأمة بفقده من أفحى الخسائر التي
أصيبيت بها الأمة بعد رسول الله (ص).

فبموت علي (ع) فقدت الأمة:

بطولة غدت أنشودة للزمان..

وشجاعة ما حلم التاريخ بمثلها..

(١) نهج البلاغة / ترتيب د. صبحي الصالح، ص ٤٢١ رقم ٤٧.

وحكمة لا يعلم بعدها إلا الله ..
وطهراً ما أكتسى به غير الأنبياء ..
وزهداً في الدنيا ما بلغه إلا المقربون ..
وبلاهة كأنما هي رجع صدى لكتاب الله ..
وفقهها وعلماً وتصلعاً بأحكام الرسالة رشحته لأن يكون باب
مدينة علم الرسول (ص) ومرجع للأمة الإسلامية في جميع شؤونها.
سلام على أمير المؤمنين يوم ولد ويوم قضى شهيداً في محاربها
ويوم يبعث حياً ..
والحمد لله رب العالمين

القسم الثالث

«ما وجد لي كذبة
في قول ولا خطلة
في فحل»

توطئة

كنا قد تناولنا في القسم الأول من دراستنا هذه لحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) دور رسول الله (ص) في إعداد شخصية الإمام علي (ع) والإشراف المباشر على تشكيل عناصرها، منذ طفولته . . حتى صارت شخصية الإمام (ع) نسخة ثانية طبق الأصل لرسول الله (ص) فكراً وعقيدة وسلوكاً فيما عدا الرسالة ومستلزماتها . .

ولقد وصف الإمام (ع) طبيعة خصوّعه لذلك اللون من الإعداد الرسالي وصفاً دقيقاً بقوله «.. وقد علمتم موضعـي من رسول الله صلـى الله عليه وآلـه بالقـرابة القرـيبة، والمـنزلة الخـصيـصة، وضـبعـني في حـجـرهـ، وأـنـا ولـدـ، يـضـمـنـي إـلـى صـدـرهـ، ويـكـنـفـي فـي فـراـشـهـ، ويـمـسـنـي جـسـدـهـ، ويـشـمـنـي عـرـفـهـ، وـكـانـ يـمـضـغـ الشـيـءـ ثـمـ يـلـقـمـنـيـ، وـمـا وـجـدـ لـيـ كـذـبـةـ فـي قـوـلـ وـلـا خـطـلـةـ فـي فـعلـ . .

ولقد قرن الله به - صلـى الله عليه وآلـه - من لـدـنـ إنـ كانـ فـطـيـماـ أـعـظـمـ مـلـكـ مـنـ مـلـائـكـتـهـ، يـسـلـكـ بـهـ طـرـيقـ الـمـكـارـمـ، وـمـحـاسـنـ أـخـلـاقـ الـعـالـمـ: لـيـلـهـ وـنـهـارـهـ . .

ولقد كنت أتبعه: اتباع الفضيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من

أخلاقه علماً، ويأمرني بالإقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فلأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآلـه وخدیجـة، وأنا ثالثـهما، أرى نور الوحي، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه - صلى الله عليه وآلـه - .

فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟

فقال: «هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست ببني، ولكنك لوزير وإنك لعلي خير...»^(١).

وهذا النص الكريم إضافة إلى ما حفظه لنا التاريخ من سيرة الإمام (ع) يجسد لنا بعمق وقوة المدى الذي كان الإمام (ع) قد حظي به في مضمار الأعداد الرسالي المخطط الذي خصه رسول الله (ص) به. تهيئه له للنهوض بأعباء المرجعية الفكرية والسياسية في الأمة.

وقد بدأ ذلك الأعداد الرسالي من لدن رسول الله (ص) العلي (ع) منذ نعومة أظفاره فهو ربـيه الذي فتح عينـيه في حجرـه، وهـيـا له من فرص التفاعل معـه وسلوك نهجـه في الحياة ما لم يتـوفـر لأحد سواه.

وبإضافة إلى ما كان قد خـصـ به الإمام (ع) من لـدنـ الرسـولـ (صـ)ـ أيامـ الطـفـولةـ والـصـباـ منـ رـعاـيةـ وـتـبـينـ وـتـرـبيـةـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ المـحـنـاـ إـلـيـهـ فـيـ الـحـلـقـةـ الـأـوـلـىـ مـنـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ فـإـنـ الـأـعـدـادـ الرـسـالـيـ للـإـمـامـ (عـ)ـ مـنـ الدـعـوـةـ الـمـبـارـكـةـ،ـ وـحتـىـ آـخـرـ سـاعـةـ مـنـ حـيـاةـ

(١) نهج البلاغة تبـيبـ صـبـحـيـ الصـالـحـ خـطـةـ رقمـ ١٩٢ـ (ـالـقـاصـعـةـ).

رسول الله (ص) قد اتسع مداراً وازداد شمولاً وأصبح أكثر تركيزاً.

والشاهد من حياة رسول الله (ص) متظاهرة في هذا المضمار: فضلاً عن حرص الإمام (ع) على الإقتداء به بأقصى درجات الإقتداء وأصدقها وأكثرها أمانة، فإن رسول الله (ص) كان يخصه بفك الرسالة وحقائقها ومتطلباتها، ويمده بالمزيد من الثقافة الإلهية.

وكان (ص) يختلي بالإمام (ع) الساعات الكثيرة آناء الليل والنهار ليعمق وعيه لمفاهيم الرسالة ومشاكل المهمة التغيرية التي بدأها رسول الله في الواقع الإنساني، وأساليب العمل من أجل إكمال ما بدأه الرسول (ص).

روى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن هند الجملني عن علي (ع) قال: «كنت إذا سألت رسول الله (ص) أعطيت، وإذا سكت ابتدأني^(١).

وعن ابن عباس عن علي (ع) قال «كان لي من النبي (ص) مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار».

وعن أبي سعيد الخدري قال: «كانت لعلي من رسول الله (ص) دخلة لم تكن لأحد من الناس».

وعن عبد الله بن يحيى عن علي (ع) قال «كنت أدخل على النبي الله (ص) كل ليلة، فإن كان يصلي سبع، فدخلت، وإن لم يكن يصلني إذن لي فدخلت^(٢).

(١) خصائص الإمام علي بن أبي طالب - للنسائي ط ١ بيروت ١٩٧٥ ، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٨.

(٢) نفس المصدر ص ٤٨.

وعن أم سلمة قالت «والذي تحلف به أم سلمة أن أقرب الناس عهدا برسول الله (ص) علي (ع)... لما كان غدوة قبض رسول الله (ص) فأرسل إليه رسول الله (ص) - قالت - «وأظنه بعثه في حاجة» فجعل يقول: جاء علي؟ - ثلث مرات - فجاء قبل طلوع الفجر فلما أن جاء عرفنا أن له إليه حاجة، فخرجنـا من البيت وكـنا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشة، وـكـنت في آخر من خـرج من البيت، ثم جـلست من وراء الباب، فـكـنت أدناهم إلى الـباب، فأكبـلـ عليه علي (ع)، فـكان آخر الناس به عـهـداً، فـجـعلـ يـسـارـهـ وـيـنـاجـيهـ»^(١).

ولقد كانت حصيلة ذلك الإعداد الرسالي الخاص من رسول الله (ص) لعلي أن رشحت الرسالة الإلهية الإمام علياً (ع) لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الإسلامية.

وقد عبر الإسلام الحنيف عن ذلك الترشيح بشـتـىـ الوسائل التعبيرية المباشرة، مجـسـداًـ مؤـهـلاتـ عليـ (ع)ـ لأـمـامـةـ الأـمـمـةـ المـسـلـمـةـ تـارـةـ،ـ ومـعـلـنـاـ تـارـةـ أـخـرـىـ إـسـنـادـ الأـمـامـةـ لـهـ رـسـميـاـ:

فضائل علي بن حديث رسول ا (ص):

وهـذـهـ بـعـضـ مـؤـهـلاتـ الـإـمـامـ (ع)ـ كـمـاـ تـطـرـحـهـاـ النـصـوصـ الصـحـيـحةـ:

١ - قال رسول الله (ص) مثل علي فيكم كمثل الكعبة...»^(٢)

(١) نفس المصدر ص ٦٥ وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده والكنجي والمحب الطبرـيـ وـغـيـرـهـ نـقـلـاـ عـنـ مقـامـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ صـ ٧٧ـ ٧٨ـ مـطـ.ـ الأـعـلـمـيـ كـربـلاـ.

(٢) جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء ج ١ ص ٩٦ وابن عساكر من حديث أبي بكر وعثمان وعائشة وسواهم، وأخرج الحديث الكنجي الشافعي في الكفـاـيـةـ والخوارزمـيـ في المناقبـ،ـ نـقـلـاـ عـنـ مقـامـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ صـ ٦ـ ٧ـ مـطـ الأـعـلـمـيـ - كـربـلاـ.

فحيث توحد الكعبة ووجهة الأمة عند ساعات الوقف بين يدي الله تعالى في الصلاة أو أداء شعائر الحج والعمرة، كذلك يفعل التزام علي (ع) والأخذ عنه في دنيا المسلمين.

٢ - والإمام (ع) هو الصراط المستقيم الذي تستلهم الأمة منه العلم الإلهي و المعارف التشريع بعد رسول الله (ص) دون سواه من الناس:

قال رسول الله (ص): «علي باب علمي ومبين لأمتى ما أرست به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق...»^(١).

وقال (ص) أنا مدينة العلم وعلى بابها...^(٢).

٣ - وأن علياً كرسول الله (ص) في إقامة العدل بين الناس فكه ككهه (ص) قال رسول الله (ص): «يا أبا بكر كفي وكف على في العدل سواء»^(٣).

٤ - ويصف الرسول علياً (ع) بأنه كنفسه، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله (ص) لوفد ثقيف - حججين جاؤوه - «سلمن أو لا بعن إليكم رجلًا كنفسي ليضر بن أعناقكم وليس بين ذراريكم، وليخذن أموالكم - فالتفت إلى علي وأخذ

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ورواه الديلمي في فردوس الأخبار والمحموني في الفرائد وغيرهم نقلًا عن المصدر السابق ص ٧.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل والترمذى في جامعة الصحيح نقلًا عن فتح الملك البلي بصحبة حديث باب مدينة العلم علي الحافظ أحمد بن محمد الغماري ط ٢ ١٩٦٩.

(٣) أخرجه جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء وابن عساكر في تاريخه الكبير والمناقب للخطيب الحنفي نقلًا عن مقام أمير المؤمنين ص ١٢.

بعله - فقال : هو هذا ، هو هذا»^(١).

٥ - وأن الإمام عليه السلام أدرى المسلمين قاطبة بشؤون القضاء
بعد رسول الله (ص) فعن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله (ص) : «أقضى أمتي علي»^(٢) وهو إشارة من
الرسول (ص) إلى أن الإمام علي (ع) أقدر من سواه على إدارة شؤون
الأمة وحسم ما يشجر في حياتها العملية.

٦ - وقال المصطفى (ص) «علي مع الحق والحق مع علي ، ولن
يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيمة»^(٣).

٧ - وحيث أن علياً (ع) صنو الحق الذي هدى الله عباده إليه ،
فلا يفترق أحدهما عن الآخر ، فقد دعا رسول الله (ص) أمته لسلوك
منهجه والإندماج بخطة لينقذها من الزيف ، ولكي لا تتبع السبل فتضل
عن سبيل الله تعالى قال (ص) : «ستكون من بعدي فتنة ، فإذا كان
ذلك ، فالزموا علي بن أبي طالب ، أنه أول من يراني ، وأول من
يصادني يوم القيمة ، وهو مني في السماء العليا ، وهو الفاروق بين
الحق والباطل»^(٤).

(١) وأخرجه ابن حنبل في المناقب أيضاً وأخرجه كذلك أبو نعيم في الحلية والترمذى
وغيرهما ، نقاً عن علي والوصية ص ٣٤٦ - ٣٤٧ بالفاظ متشابهة .

(٢) الرياض النصرة ج ٢ ص ١٩٨ والكنجي الشافعى في الكفاية والفصول
المهمة - لابن الصباغ المالكى وانساب الأشراف للبلادى نقاً عن مقام أمير
المؤمنين ص ٣٢ ط الأعلمى .

(٣) الخطيب البغدادى في تاريخه الكبير ج ٤ ص ٣٢١ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة
وكتنز العمال والزمخشري في ربيع الأبرار والحمويى في فرائد السمعطين وغيرهم ،
نقاً عن علي والوصية ص ١١٣ .

(٤) الكنجي الشافعى في كفاية الطالب والحافظ في أمالية وغيرها ، نقاً عن علي
والوصية ١٦٧ .

٨ - وحول إيمان علي (ع) ومداه يقول رسول الله (ص): «لو أن السماوات والأرض م موضوعتان في كفة وإيمان علي في كفة لرجح إيمان علي (ع)^(١).

هذه بعض مؤهلات علي (ع) كما بينها رسول الله (ص).

نصوص الامامة:

أما النصوص التي تسند إليه أمر إمامية الأمة فكريأً وسياسياً بشكل صريح فنذكر منها.

١ - آية الولاية:

﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ يُقْبَلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتَوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَسْأَلُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.
(المائدة / ٥٥ - ٥٦).

فقد ذكر المفسرون أن آية الولاية هذه قد نزلت في علي ابن أبي طالب (ع)، حيث تؤكد بلا أدنى شك أنه يجب على الأمة الإسلامية الالتزام به إماماً ومرجعاً فكريأً وسياسيأً بعد رسول الله (ص).

ولقد نزلت هذه الآية الكريمة في علي (ع) كما روى ذلك جمع من الثقة من المحدثين والمفسرين - لحد الإستفاضة - وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة أن سائلاً دخل مسجد رسول الله (ص) يسأل

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عمر، يراجع كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٦ أخرجه عن عمر بن الخطاب نقلأ عن مقام أمير المؤمنين ص ١٥ ط الأعلمي - كربلاء.

ال المسلمين المعونة فأشار الإمام (ع) إلى أصبعه وهو راكع فانتزع السائل خاتم الإمام من أصبعه وتصدق الإمام به وهو راكع فنزلت فيه هذه الآية^(١).

٢ - خطبة الغدير التي ألقاها رسول الله (ص) في حجة الوداع بعد أدائه مراسيم الحج الأكبر.

ف عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله (ص) سنته التي حج فيها، فنزل في بعض الطريق فامر:

الصلوة جامعة فأخذ بيده علي ،

فقال: «أليست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»

قال: بلى.

قال (ص): «أليست أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى.

قال (ص): «فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه»^(٢).

وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (ص) قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٣).

(١) راجع تفسير الآية في كل من: تفسير البيضاوي ومجمع البيان للطبرسي، وأبو إسحاق الشعли في تفسيره، والطبراني في تفسيره، والواحدي في أسباب النزول، وأبو البكرات النسفي في تفسيره، والنيسابوري في تفسيره، والشبلنجي في نور الأبصار وابن حجر في صواعقه المحرقة وغيرهم. نقلًا عن فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج ١ وأعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ وما بعدها

(٢) لفظ صحيح ابن ماجه ص ١٢.

(٣) مسندي أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ وقد نص على أن الحديث رواه ثلاثون =

٣ - وعن أم سلمة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله (ص): «أن الله اختار لكل نبي وصيماً، وعلى وصي في عترتي وأهل بيتي وأمتى بعدي»^(١).

هذه بعض النصوص الإسلامية الصحيحة التي أسندة أمر المرجعية الفكرية والسياسية لعلي بن أبي طالب (ع) ولمن يريده المزيد من تتبع نصوص الإمامة مراجعة المصادر المختصة بالموضوع^(٢).

= صحابياً. وقد أخرج الحديث غيره كالنسائي في الخصائص والطبراني. عن زيد بن أرقم والفسخر الرازي في تفسير آية «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» وكنز العمال ج ٤٨ ص ٤٨ ومستدرک الصحيحين نقلأ عن كتاب الغدير ج ١ للشيخ عبد الحسين الأميني.

(١) الموفق بن أحمد الحنفي في مناقب والحمدوني الشافعي في فرائد السبطين وفي مسند أحمد بن حنبل حديث الوصية يشبهه وللثعلبي في الكشف والبيان وابن المغازلي مثله نقلأ عن علي والوصية ص ٢٣٥.

(٢) ككتاب «الغدير» للشيخ عبد الحسين الأميني «ودلائل الصدق» للشيخ محمد حسن المظفر و«واحات الحق» للقاضي التستري و«عقبات الأنوار» للسيد مير حامد حسين و«المراجعات» للسيد عبد الحسين شرف الدين .. وغيرها.

شخصية علي (ع)

من خلال عناصرها الأساسية

علاقة الامام علي بالله تعالى:

شواهد من عبادة امير المؤمنين (ع):

المنهج العبادي في خطوطه الاساسية:

إذا كانت حصيلة الإعداد الإلهي المباشر لرسول الله (ص) إن صار خلقه (ص) القرآن بكل ما فيه من فضائل وقيم روحية رفيعة مجسداً حياً في دنيا الواقع^(١)، فإن حصيلة الإعداد الرسالي من لدن رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب (ع) أن صار علي (ع) صورة للرسول (ص) فكراً وهدياً وموافقاً..

ولقد قرأنا بين ثنايا النصوص الكريمة التي مرت بنا خلال هذه الدراسة^(٢): تلك النصوص التي تكشف بقوة عما لعلي (ع) من مكانة في دنيا الإسلام.

فهو: المطهر من الرجس، وهارون الأمة، والذي كفه كفه النبي المصطفى، في العدل، وهو رفيق الحق لا ينفك أحدهما من الآخر وهو باب العلم الإلهي، وفاروق الأمة^(٣) و... و... الخ.

(١) يراجع القسم الثالث من سيرة المصطفى (ص) للمؤلف.

(٢) راجع القسم الأول من هذه الدراسة التي بين يديك.

(٣) فاروق الأمة رواه عن رسول الله (ص) الطبراني والبيهقي وكثيرون وسواهم نقلأ عم المراجعات ص ١٧٠.

وكل هذه الأوصمة التي زين بها الإسلام صدر علي (ع) كانت ذات مدليل عملية في دنيا الواقع في حياة علي (ع).

فهذه الصفات السامية جاءت ترجمة لواقع صار إليه الإمام (ع) كثمرة للأعداد الرسولي له منذ نعومة أظفاره حتى آخر يوم من أيام المصطفى (ص).

ولعنا لا ندرك أهمية تلك الأوصمة التي زين بها صدر الإمام (ع) ما لم نسلط بعضاً من الضوء على المقومات العامة لشخصيته سلام الله عليه في هذه الصفحات:

علاقة الإمام علي بالله تعالى

سبق أن أشرنا في حديثنا عن شخصية رسول الله (ص) إلى أن علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى، ليست محدودة في إحدى زوايا حياته أبداً، وإنما هي كما حدد الله سبحانه أبعادها لعباده من خلال شريعته التي ارتضى لهم: تجريد كامل للعزيز المتعال عز وجل بكل خلجمات النفس، ويكيل حركة في الحياة: في الصلاة والصيام والحج والإعتكاف، بشعائر التعبد وبالعلاقات الأسرية والإجتماعية عامة بالحكم والقضاء بالمحيا والممات وما بعد الموت^(١).

وقد جسد القرآن الكريم حجم العلاقة بين العبد وربه الأعلى بقوله تعالى **«قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»**.

(الأنعام / ١٦٢)

على أن شعائر الإسلام الكبرى : كالصلاوة والصوم والحج وسوها وإن كانت جزءاً من هيكل العبودية لله تعالى التي تشمل الحياة

(١) القسم الثالث من سيرة المصطفى (ص) للمؤلف.

الإنسانية كلها. إلا أن هذه الشعائر تختص بسمات خاصة «توقيفية» ككيفية الأداء والوقت والعدد، فهي في هذه المجالات محددة من قبل الله تبارك وتعالى فلا مجال فيها لتبديل أو تحويل أو نقص أو زيادة.

ثم إنها تمتاز في كونها وقوفات خالصة لله سبحانه ليس فيها غايات أخرى غير رضوان الله والإستجابة لأمره، ومن أجل ذلك تفقد هذه الفرائض طابعها العبادي إذا دخل إطارها رباء أو نحوه.

وهي ميزة لا تتحقق في أمور الحياة الإنسانية الأخرى وإن كانت سابحة في إطار من العبودية لله تعالى.

فالزواج والنشاط الاقتصادي مثلاً ونحوهما من العقود وإن كانت شريعة الله تعالى تضعها في مسار العبودية لله، والمرء من خلالها يؤدي عبادة إذا هو التزم بأحكام الشريعة الإسلامية في تحديد وجهتها وأبعادها ومستلزماتها إلا أنها تبقى حاملة لأغراض أخرى فالزواج مثلاً إن كان يحقق غاية إسلامية من ناحية تحصين الفرد المسلم عن الوقع في المحرم، حتى أن الإسلام يعتبر عملية الزواج من لدن المسلم أحرازاً لنصف الدين - كما في الحديث الشريف - كما أن الالتزام بأحكام الشريعة الخاصة في حقول التعامل بين الزوجين ونحوها يعتبر أمراً مفروضاً على المؤمنين ..

أقول إلى جانب هذه الأمور التي ترافق عملية الزواج، فإن الميل يبقى خلفية أساسية من خلفيات حمل الفرد على تعاطيه.

وهكذا تظهر خلفيات أخرى غير الخلفية العبادية في مثل هذه الأمور ..

ومن هنا نرى أن أمر الزواج والنشاطات الاقتصادية في مثالنا أمور توجد في كل مجتمع في الماضي والحاضر، قبل عصر التنزيل وبعد

بالنظر لارتكازها على حاجات طبيعية لدى الكائن الإنساني، ومهمة شريعة الله تعالى ترتكز على إضفاء الصبغة الشرعية عليها بعد تهذيبها وتحديد مسارها ووضع مخطط إسلامي لصوغها وفقاً لمتطلبات الفطرة البشرية.

وبناء على هذا التحديد لطبيعة علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى فسنستعرض علاقة الإمام علي بن أبي طالب (ع) بالله تعالى من خلال الفرائض وال السنن الإسلامية.

شواهد من عبادة أمير المؤمنين (ع)

كحصيلة للإعداد الرسالي الذي حظي به الإمام (ع) من لدن أستاذه الرسول (ص) - الأمر الذي تناولناه في مدخل هذه الرسالة - فقد طبعت شخصية الإمام (ع) بشخصية المصطفى (ص) في جميع مقوماتها: عبادة وفكرةً وموافق.

يسلك سبيله، يقتفي سنته ويقفو أثره، ومن أجدر بتجسيد سنة الرسول (ص) كاملة في دنيا الواقع سوى علي (ع)? الذي صنع رسول الله (ص) شخصيته وشكل جميع عناصرها وطبعها بالطابع الإلهي منذ نعومة أظفاره..

وإذ نعقد هذا الفصل للحديث عن عبادة الإمام (ع) ووسائل تعلقه بالله سبحانه، فسنعرض شواهد منها، لندرك السمو الشاهق الذي بلغه الإمام (ع) في مضمار الإنسداد إلى الله واستلهام سنة الرسول (ص) المطهرة في هذا المضمار:

صلاة وضراعة:

فكثرة تعاهده لأمر الصلاة والتضرع إلى الله سبحانه تعالى يشير عروة بن الزبير في حديث له عن أبي الدرداء:

قال: «شهدت علي بن أبي طالب بشوحيطات^(١) النجار، وقد اعتزل عن مواليه، وانحفى من يليه، واستتر بمغيلات^(٢) النخل، فافتقدته، وبعد عن مكانه، فقلت الحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي، وهو يقول: «إلهي كم من موبيقة حلمت عن مقابلتها بنقائك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك».

إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي،
فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك».

فسغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب (ع) بعينه، فاسترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغامر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال: «إلهي أفكر في عفوك، فتهون علي خططيتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم علي بليتي».

ثم قال «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محسبيها، فتقول: خذوه، فيما له من مأخذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملا إذا أذن فيه بالنداء».

ثم قال «آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آن من نار نزاعة للشوى، آه من لهبات لظى».

قال أبو الدرداء: ثم أمعن في البكاء، فلم أسمع له حسا، ولا حركة.

فقلت: غالب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر،

(١) الشوحيط: شجر يتخذ منه القسي.

(٢) المغيلات: النخل الوارف للظلل.

فأقيته، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته، فلم يتحرك، وزوته فلم ينزو.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله على بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقالت فاطمة (ع): يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟
فأخبرتها الخبر.

فقالت: «هي والله - يا أبا الدرداء - الغشية التي تأخذه من خشية الله».

ثم أتوه بماء فوضحوه على وجهه، فأفاق، ونظر إلى وأنا أبكي
فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟
فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني، ودعي بي إلى
الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوثستني ملائكة غلاظ
وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء
ورفضني أهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفي عليه
خافية».

فقال أبو الدرداء: «فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب
رسول الله» (ص) ^(١).

هذا شاهد من شواهد تعلق الإمام (ع) بالله تعالى وشدة انسداده
إليه ورهبته منه.

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٢ - ١١ نقلأً عن أمالى الصدق والأنوار العلوية للشيخ
جعفر النقدي ط ٢ ص ١١٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٨٩.

ويبدو أن هذا ديدن علي (ع) كما يتجلّى من قول الزهراء (ع)
لأبي الدرداء: «هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله».
وهذه مزينة عند التوجّه إلى الله تعالى في صلاته وضراعته، الأمر
الذي ألقه أهل البيت (ع) في علي (ع).

ومن أجل ذلك لم يفرزوا حين أنبأهم أبو الدرداء بموته - كما
ظنّ هو - بل استفسروا عما رأى، فأعلّمته الصديقة (ع) أن ما رأه هو
المأثور من علي (ع) كلّ آن حين تأخذه الغشية الله تبارك وتعالى أثناء
قيام الليل.

ولكثرة قيامه للعبادة ليلاً يحدّثنا عبد الأعلى عن نوف البكالي ..
قال: «بت ليلة عند أمير المؤمنين (ع) فكان يصلّي الليل كله،
ويخرج ساعة بعد ساعة، فينظر إلى السماء، ويتلّو القرآن، فمرّ بي
بعد هدوء من الليل فقال: يا نوف أرقد أنت أم رامق؟
قلت: بل رامق أرمّقك ببصري يا أمير المؤمنين.

قال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة،
أولئك الذين اتخذوا الأرض ساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقر
آن دشاراً، والدعاء شعاراً، وقرضوا من الدنيا تكريضاً على منهاج
عيسي بن مرريم ..»^(١).

وهكذا كان علي (ع) في شدة تعلقه بالله، وعظيم تمسّكه بمنهج
الأنبياء (ع). أنه ترجمة صادقة لعبادة محمد (ص) وزهد المسيح (ع).

(١) نفس المصدر ص ١٦ عن المختار للصدقون ونحو البلاغة بباب الحكم رقم ١٠٤
مع اختلاف يسير في الألفاظ.

أرأيت كيف يندك وجوده على عتبة الخضوع لله والإستكانة له
وطلب رضوانه؟

وحول التزامه بقيام صلاة الليل طول عمره الشريف يروي لنا أبو
يعلى - في المسند - عنه (ع) قال: «ما تركت صلاة الليل منذ سمعت
قول النبي صلى الله عليه وآله: صلاة الليل نور».

فقال ابن الكواء: ولا ليلة الهرير؟

قال (ع): ولا ليلة الهرير^(١).

توجه ورهبة:

ولعظيم إقباله على الله تعالى يشير القشيري في تفسيره:
أنه كان (ع) إذا حضر وقت الصلاة تلون وتزلزل. فقيل له: ما
للك؟

فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السماوات
والأرض والجبال، فأبین أن يحملنها وحملها الإنسان على ضعفه، فلما
أدري أحسن إذا حملت أم لا^(٢).

ولع بالصلاحة:

ولكثرة صلاته ما ورد عن الإمام الباقر (ع) أنه قال:
كان علي بن الحسين (ع) يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة،
كما كان يفعل أمير المؤمنين (ع)^(٣).

(١) البحارج ٤١ ص ١٧. ليلة الهرير = من ليالي صفين الحاسمة التي اشتكى
الغريقان فيها طوال الليل دون هوادة.

(٢) نفس المصدر ص ١٧.

(٣) نفس المصدر ص ١٥.

وعن سليمان بن المغيرة عن أمه قالت: سألت أم سعيد سرية علي (ع) عن صلاة علي (ع) في شهر رمضان.

فقالت: رمضان وشوال سواء، يحيى الليل كله^(١).

وعن الإمام الصادق (ع) قال: «إن علياً في آخر عمره يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة»^(٢).

عبادة الشاكرين:

ولقد عظم المعبد عز وجل في نفس الإمام (ع) فصارت عبادته تعبرأ عن الحب له والشوق إليه، واستشعار أهليته للعبادة دون سواه، ومن أجل ذلك كان علي (ع) لا يعبد الله خوفاً من عذابه، ولا طمعاً في جنته ولا فيما أعده من نعيم للمتقين، وإنما سما الإمام (ع) في علاقته بالله تعالى إلى أعلى الدرجات أسوة بأساتذه الرسول (ص).

وقد كشف الإمام (ع) عن جوهر علاقته بالله تعالى وطبيعتها بقوله:

«إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»^(٣).

فأعظم به من يقين، وأكرم به من إيمان!!

ولقد حدد الإمام (ع) ألوان العبادة في كلمة خالدة:

«أن قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، وأن قوماً عبدوا

(١) نفس المصدر ص ١٧.

(٢) نفس المصدر ص ٢٣ أشار إلى أنه عليه السلام مع تقدم سنة بقي ملتزماً بمنهجه في العبادة والإكثار في الصلاة.

(٣) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤ وتدكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٤٤.

الله رهبة، فتلك عبادة العبيد، وأن قوماً عبدوا الله شكرآ، فتلك عبادة الأحرار»^(١).

وكانت عبادته (ع) من النوع الأخير، حيث تصدر كحصيلة للشعور بأهلية المعبد للعبادة واستحقاقه لها.

أما إيقاف العبادة على حصول الشواب فحسب، فهي عبادة من وصفهم الإمام (ع) بالتجار، الذين يتغرون الثمن ويتظرون التعويض.. وشتان بين هدف الشاكرين، وهدف التجار في ميزان الله تعالى وحسابه.

صلاة الرسول (ص):

ولقد كانت صلاة علي (ع) - أسوة بسائر نشاطاته - كصلاة رسول الله (ص) في كيفية الأداء والخشوع والإنداد والتعلق بالله تعالى فعن مطرف بن عبد الله قال: «صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب.. فلما انصرفنا أخذ عمران بيده فقال: لقد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد (ص)^(٢).

تعهدوا أمر الصلاة:

والى جانب تعاهد الإمام (ع) لأمر الصلاة فقد كان كثيراً ما يوصي أتباعه بتعاهد أمرها، وأدائها في أوقاتها وتعريفهم بأهميتها وأثرها في شخصية المسلم «تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها فإنها - كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً -» إلا

(١) المصدر المتقدم.

(٢) أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٨٠ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ نقلأً عن البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

نسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا «ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين».

وإنها تحت الذنوب حت^(١) الورق، وتطلقها إطلاق الربق^(٢) وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآلـه بالحمة^(٣)، تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من دون^(٤)؟

وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهـم عنها زينة مـنـاع، ولا قـرـة عـيـنـ من ولـدـ ولا مـالـ.

يقول الله سبحانه:

﴿رِجَالٌ لَا تَلَهِيهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبْعَثُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ . . .﴾.

(النور / ٣٧)

«فـكانـ يـأـمـرـ بـهـاـ أـهـلـهـ وـيـصـبـرـ عـلـيـهـاـ نـفـسـهـ»^(٥).

(١) حت الورق عن الشجر: قشره.

(٢) الربق: حبل فيه عدة عرى كل واحدة ربيقة.

(٣) الحمة: عين ماء حار يستشفى فيها من المرض.

نصبا: نصب في الأمر: جد واجتهد فيه.

(٤) الدرن: الوسخ.

(٥) نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح ص ١٩٩.

المنهج العبادي في خطوطه الأساسية

وإلى منهجه العبادي الملزם أشار الإمام الباهر (ع) بقوله:
«... وما ورد عليه أمران قط كلاماً لله رضي إلا أخذ بأشد هما
على بدنها»^(١).

وقد ورد عن الإمام علي (ع) ذاته «... وإنما هي نفسى
أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر»^(٢).

وفي حديث ضرار بن ضمرة لمعاوية بن أبي سفيان حول
شخصية الإمام (ع) تجسيد لهذه الحقيقة، فمما جاء في حديثه «...
كان والله صواماً بالنهار قواماً بالليل...».

توكل صادق ويقين راسخ:

وحيث أن التوكيل على الله تعالى زاد المتقين، واليقين بالله شعار
المؤمنين الصادقين يملأ قلوبهم بالثقة والإطمئنان والعزّة والإرتفاع على
جميع عقبات الحياة.

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب المازندراني.

(٢) نهج البلاغة من كتاب إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥ ص ٤١٦.

فقد كان أمير المؤمنين (ع) قائداً لأهل اليقين بعد رسول الله (ص) ويعسوباً للمتوكلين.

وهذه سيرته تحفنا بالعديد من الشواهد في هذا المضمار: - فعن الإمام الصادق (ع) قال: كان لعلي (ع) غلام إسمه قنبر، وكان يحب علياً جداً شديداً، فإذا خرج علي (ع) خرج على أثره بالسيف فرأه ذات ليلة، فقال له: يا قنبر مالك؟

قال: جئت لأمشي خلفك، فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك.

قال: ويحك أمن أهل السماء تحرستني أم من أهل الأرض؟

قال: لا بل من أهل الأرض.

قال (ع): إن أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا بإذن الله عز وجل فارجع. فرجع^(١).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: «إن أمير المؤمنين جلس إلى حائط يقضي بين الناس.

فقال بعضهم: لا تقدّع تحت هذا الحائط فإنه معور،

فقال أمير المؤمنين: حراس أمراً أجله.

فلما قام أمير المؤمنين (ع) سقط الحائط.

وكان أمير المؤمنين (ع) مما يفعل هذا وأشباهه، وهذا اليقين»^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١ نقلأً عن التوحيد للصدوق.

(٢) نفس المصدر ص ٦ نقلأً عن أصول الكافي.

وعن سعيد بن قيس الحمداني قال «نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسه فإذا هو أمير المؤمنين (ع)».

فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضوع؟

فقال: نعم يا سعيد بن قيس، إنه ليس من عبد إلا وله من الله عز وجل حافظ وواقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خلياً بينه وبين كل شيء^(١).
هذا هو علي (ع) في قوة يقينه بالله، وشدة توكله عليه سبحانه.

مصاديق من زهد امام (ع):

ولقد كان الزهد معلماً بارزاً من معلمون شخصية الإمام (ع)، وسمة مميزة زينه الله تعالى به فعن عمار بن ياسر (رض) قال: قال رسول الله (ص) لعلي . «إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها، هي زينة الأبرار عند الله: الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ - تعيب - من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهبك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً»^(٢).

وقد كان من شواهد تلك الصفة التي حباه الله تعالى بها:
أن زهد الإمام (ع) عن كل لذادات الحياة وزيتها وتوجه بكل وجوده نحو الآخرة، وعاش عيشة المساكين وأهل المترفة من رعيته.

لقد زهد الإمام (ع) بالدنيا وزخرفها زهداً تاماً وصادقاً:
زهد في المال والسلطان، وكل ما يطمع به الطامعون.
فلقد عاش في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء من

(١) نفس المصدر.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٩٤ ط ١ المطبعة العلمية قم.

الأمة، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأته أو يطحنه بنفسه قبل خلافته ويعدها، حيث كانت تجيء الأموال إلى خزانة الدولة التي كان يضطلع بقيادتها من شرق الأرض وغربها. غالباً ما كان يلبس أبسط أنواع الشياط، فكان ثمن قميصه ثلاثة دراهم.

وقد بقي ملتزماً بخطه في الزهد طوال حياته، فقد رفض أن يسكن القصر الذي كان معداً له في الكوفة حرصاً منه على التأسي بالمساكين^(١).

وهذه بعض المصادر كما ترويها سيرته العطرة:

فعن الإمام الصادق (ع) يقول: «كان أمير المؤمنين أشبه الناس طعمة برسول الله (ص) يأكل الخبز والخل والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم»^(٢).

وعن الباقر (ع) قال: «ولقد ولني خمس سنين وما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاً ولا حمراً»^(٣).

وعن عمر بن عبد العزيز قال: «ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد رسول الله (ص) أزهد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة»^(٤).

وعن الأحنف بن قيس قال: «دخلت على معاوية، فقدم إلي من الحلو والحامض، ما كثر تعجب منه، ثم قال: قدموا ذاك اللون،

(١) علي وحقوق الإنسان، جورج جرداق ص ٧٥ ط. ١٩٧٧ بيروت.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٣٣٠ عن المحسن.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج ٥١ ص ٣٦.

(٤) تذكرة الخواص ص ١١٧.

فقدموا لوناً ما أدرى ما هو...!

فقلت: ما هذا؟

فقال: مصارين البط محسوّة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر!!

قال الأحنف: فبكيت.

فقال معاوية: ما يبكيك؟

فقلت: الله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمع به أنت ولا غيرك!

قال معاوية: وكيف؟

قلت: دخلت عليه ليلة عند إفطارة..

فقال لي: قم فتعش مع الحسن والحسين، ثم قام إلى الصلاة، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأنخرج منه شعيراً مطحوناً، ثم ختمه.

فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا الشعير.

فقال: لم أختمه بخلا، ولكن خفت أن يبسه الحسن والحسين بسمن أو أهاله!

فقلت: أحرام هو؟

قال: لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم في بالأكل واللباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ليراهם الفقير، فيرضي عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكرآ

وتواضعاً»^(١).

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي (ع) بالكوفة، وبين يديه رغيف من شعير، وقدح من لبن، والرغيف يابس، فشق علي ذلك.

فقلت: لجارية له يقال لها فضة: ألا ترحمين هذا الشيخ، وتنخلين له هذا الشعير.

فقالت: .. إنه عهد إلينا ألا ندخل له طعاماً قط..!

فالتفت الإمام إلى.

وقال: ما تقول لها يا ابن غفلة، أنا شربته... .

وقلت: يا أمير المؤمنين ارفق بـنفسك.

قال لي: ويحك يا سويد؟ ما شبع رسول الله (ص) وأهله من خبز بر ثلاثة تباعاً حتى لقي الله، ولا ندخل له طعام قط..!^(٢).

وعن سفيان الثوري عن عمرو بن قيس قال: روى علي (ع) أزار مرقوع، فعوتب في ذلك؟

قال: يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن^(٣).

وعن الغزالى يقول: «كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه، ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل ولا يجد غيره»^(٤).

(١) نفس المصدر ص ١١٨: يبسه: يضع عليه السمن، والإهالة الشحم أو ما أذيب منه ونحوهما من أدام.

(٢) تذكرة الخواص ص ١٢٠.

(٣) نفس المصدر والإمام علي بن أبي طالب - محمد رضا ص ١٢.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٦٦ عن الإحياء للغزالى.

هذا هو علي في شدة زهده ورغبته عن الدنيا وزخارفها، وفي عظيم أقتداءه برسول الله (ص) وفي مواتاته لأهل المترفة من أمتة (ص)، فهل حديث التاريخ عن زعيم كعلي (ع)؟ تجبي إليه الأموال من الشرق والغرب، وعاصمته الكوفة - تقع في أخصب أرض الله وأكثرها غنى يومذاك، بيد أنه يعيش أبسط عيش مواتياً لأقل الناس حظاً في العيش في هذه الحياة.. يأكل خبز الشعير دون أن يخرج نخالته.. ويكتفي بقميص واحد لا يجد غيره عند الغسل.. ويحرم على نفسه الأكل من بيت المال.. ويرفع مدرعته حتى يستحي من راقعها^(١). مجسداً بذلك أرفع شعار للزاهدين «.. فوالله ما كنت من دنياكم تبراً، ولا ادخلت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوب طمراً، ولا حزت من أرضها شيئاً، ولا أخذت منه كقوت إتان دبرة، ولهمي في عيني أوهي وأوهن من عصفه مقرة»^(٢).

صدقه الامام (ع):

ولا نريد أن نذهب بعيداً في طرح الشواهد على تعاهد الإمام علي (ع) لأمر الصدقة، قبل أن نستقي من القرآن الكريم ذنادج من صدقه الإمام (ع) عطرتها آيات الله تعالى بالثناء الجميل، ورسمت أبعاد الثواب الإلهي العظيم الذي لا يعلم مدها غير الله الذي أعده تبارك وتعالى لأمير المؤمنين (ع):

(١) للأستزاده من شواهد زهد الإمام (ع) راجع بحار الأنوار / ٤٠ وتنكرة الخواص لسيط ابن الجوزي، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني ج ١ وغيرهم.

(٢). كتابة إلى عثمان بن حنيف رقم النص في نهج البلاغة ٤٥ باب الرسائل، التبر، فتاة الذهب والفضة قبل الصياغة. الوفر: المال. الطمر: الثوب. الخلق البالي. إتان دبرة: التي عقر ظهرها فقل أكلها.

ففي حادثة إطعام علي (ع) وأهل بيته (ع) للمسكين واليتيم والأسير على مدى ثلاثة أيام وإياثارهم لهم على أنفسهم، واكتفائهم بالماء وهم في أيام صوم متالية.. تنزلت آيات الله تعالى مسجلة أعظم مأثر علي (ع) في ضمير الوجود حيث ستبقى ترددتها الآفاق والألسنة وصفحات المجد ما شاء الله تعالى.

وَوَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبَّةٍ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمَطَرِيرًا. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا، وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا).

(الإنسان / ١٢-٨).

وليس المهم في الأمر حجم ما قدمه الإمام (ع) لأولئك المحتاجين، فإن الكثير من الناس يبذلون أضعاف ذلك.

ولكن شتان بين من ينفق لوجه الله خالصاً دون شائبة، وبين من ينفق من أجل غرض دنيوي أو جاه أو ذكر يشاع بين الناس. كما أنه شتان بين من ينفق كل ما لديه وهو أحوج ما يكون إليه وبين من ينفق بعض ما لديه..

وهكذا يختلف التقويم عند الله تعالى بين ذا وذاك!

وفي حادثة تصدق علي (ع) بخاتمه على مسكين استبدلت به الحاجة، فطاف على الناس فلم يجد من يسد خلته، فأشار إليه علي (ع) وهو يصلی في مسجد رسول الله (ص) ومنحه خاتماً في يده..

نزل القرآن الكريم على رسول الله (ص) مبيناً فضل ما أقدم عليه الإمام (ع) واستعمل القرآن المناسبة لإرشاد الأمة إلى أن علياً (ع) مرجعها الفكري والعملي بعد رسول الله (ص).

﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

(المائدة / ٥٥ - ٥٦)

وهذه الآية الكريمة من أكثر النصوص دلالة على أن العمل الصالح في منظور الله تبارك وتعالى إنما هو بداعفه لا بحجم منافعه. فليس المهم أن تعطي كثيراً، ولكن الأساس في الأمانة العطاء فالتقىيم الرباني إنما يدور مدار النية حيث تدور، فكلما اقتربت من الله تعالى وابتغيت رضوانه كان ثوابك أعظم وأجل ..

ومن المناسب أن نطرح إضافة إلى ذلك مصاديق من سيرة الإمام (ع) في هذا المضمون مما روته كتب التاريخ .

فعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال «كان أمير المؤمنين يضرب بالمر - المسحاة - ويستخرج الأرضين، وأنه أعتق ألف مملوك من كديده»^(١).

وعن أيوب بن عطية الحداء قال: سمعت أبي عبد الله (ع) يقول: «قسم النبي الله الفيء، فأصاب على أرضًا، فاحتفر فيها عيناً، فخرج ماء ينبع كهيئة عنق البعير، فسمها ينبع، فجاء البشير يبشر. فقال (ع): بشر الوارث هي صدقة بنت بتلاء في حجيج بيت الله، وعايري سبيل الله لا تباع، ولا توطب ولا تورث فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(٢).

(١) البحارج ٤١ ص ٧٧ عن الكافي ج ٥.

(٢) نفس المصدر ص ٤٠ عن الكافي ج ٧.

وعن أحمد بن حنبل في الفضائل: أنه كانت غلة علي أربعين ألف دينار فجعلها صدقة^(١).

والحديث عن حرص الإمام (ع) على تعاهد أمر الصدقة في سبيل الله تعالى يذكرنا بالنفس السخية التي يمتاز بها أمير المؤمنين (ع).

فكثرة أدائه للصدقة وشدة بذلك لها وإن كان يعكس صورة صادقة عن جود الإمام (ع) وسخائه، إلا أن سيرته العطرة تكشف إلى جانب ذلك وجتها آخر من شخصية الإمام.

فقد كان عليه السلام أنسخى من الغيث على الأمة التي عايشها لا أقصد بهذا جوده بنفسه من أجل حفظ الرسالة ومسيرة الإسلام التاريخية، ذاك الذي يتجلّى عبر البطولات التي أبدأها (ع) في حروب الإسلام كلها، فحدثت كهذا.. يتطلب بمفرده سفراً كاملاً، وإنما نقصد ما يتعلق بالسخاء بالمال.

فلقد اعترف بجود الإمام (ع) وسخائه أشد الناس عداوة له: معاوية بن أبي سفيان الذي ما برح ينسج الأكاذيب والإفتراءات لتشويه سمعة الإمام (ع) غير أنه لم يستطع أن ينكر فضيلة الجود عند علي (ع) فقد قال له يوماً مخفي ابن أبي مخفي الضبي: جئتكم من عند أبخل الناس فقال ابن أبي سفيان: ويحك كيف تقول أنه أبخل الناس، لو ملك بيتك من تبر - ذهب - وبيتك من تبن لأنفذ تبره قبل تبنيه^(٢).

(١) المناقب - لابن شهر أشوب ص ٣٤٦ والبحار ج ١ / ٤١ ص ٤٣ عن كشف الممحجة لابن طاووس.

(٢) مررنا مروراً عابراً على موقف الإمام وبطولاته العسكرية في القسم الأول فراجع.

(٣) شرح النهج ج ١ ص ٢٢.

ويقول الشعبي يصف الإمام (ع) : كان أsexى الناس ، كان على
الخلق الذي يحبه الله : السخاء والجود، ما قال لا لسائل قط^(١).

الجهاد في سبيل الله:

وحياة علي أمير المؤمنين (ع) كلها جهاد في سبيل الله تعالى في مرحلة الدعوة، وبعد قيام الدولة الإسلامية، وإذا كان قد وفى الرسول (ص) بنفسه وفداه بوجوده وتعرض لأنخر تامر جاهلي على حياة رسول الله (ص) عند مبيته على فراشه في ليلة الهجرة المباركة، من أجل أن يصرف عنه شر عتاة الجاهلية. فإن علياً قد تحولت حياته بعد الهجرة إلى المدينة المنورة إلى حلقات متسللة من ذلك النوع الجهادي العظيم، فقد كان حامل لواء الزحف الإسلامي في كل غزوات أخيه رسول الله (ص) وطليعة المجاهدين في ساحات jihad، وكلما حزبت الأمور وحمي الوطيس انتدبه رسول الله (ص) لكشف زحف العدو عن حياض المسلمين ..

وكانت كل مواقفه الجهادية من النوع المصيري الذي يحمي الرسالة ويكشف عنها خطر التصفية المحقق والإجهاز الخطير على وجودها، تجلي ذلك في بدر جين صفي الكثير من رؤوس الوثنيين وملاً بها ساحة المعركة.

وفي «أحد» حين أطبق جيش الضلال على مصر الإيمان وكانت الغلبة للعدو، نهض الإمام (ع) بسavor عرقلة نقـة: هم هـيث بـادر إلى تصفية حملة الأولوية من بنـي عبد الدار واحداً تلو الآخر

وفي غزوة الأحزاب حين بلغت القلوب الحناجـر وبلغ الضيق والهلع بال المسلمين كل مبلغ نهض الإمام (ع) بالأمر وأرعب العدو وأعاد

(١) نفس المصدر.

للمسلمين الثقة بالنفس حين قتل أبرز قوادهم عمرو بن ود العامری .
حيث كان قتل العامری حداً فاصلاً بين المعسكرين إذ تلاه
انهزام جيش الأحزاب مع ما امتاز به من ضخامة في العدد والعدة ..
وعلي (ع) هو الذي اقتحم حصون خيبر ودخل عليهم عنوة ،
فتح الله على يديه حصون اليهود الرهيبة .
وكم سطر لك من بطولات علي (ع) وصفحات جهادت المشرقة
التي تشع بالمجده العزة والإخلاص؟^(١).

فدونك تاريخ الإسلام في عصره الأول : في عهد
رسول الله (ص) فأنعم النظر في صفحاته كي تحدثك بفضل علي (ع)
على الإسلام رسالة ، وأمة ، وتاريخاً .

على أن الجانب العبادي في جهاد علي (عليه السلام) ليس في
حجم البطولات وعدد المعارك التي خاض غمارها . فحسب وإنما في
صدق النية وحجم الإخلاص الذي امتلاً به قلب علي (ع) وهو يخوض
تلك الحروب ببسالة فائقة وشجاعة نادرة وصمود لا يرد .

ومن أجل ذلك كان القرآن الكريم يثنى على تلك الروح التي
كان يحملها أمير المؤمنين عبر كفاحه من أجل إعلاء كلمة الله في
الأرض .

فها هو القرآن الكريم يثنى على علي (ع) يوم فدى نفسه
رسول الله (ص) « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاه الله » (البقرة
٢٠٧) ويكشف بعمق عن صدق نية الإمام (ع)^(٢) .

(١) راجع الحلقة الأولى من دراستنا أمير المؤمنين (ع) فصل بأس في الحرب .
(٢) راجع تفسير الآية في الكشاف للزمخشري والواحدي في أسباب النزول وابن الأثير
في أسد الغابة - يشري - بيع .

وَهَا هُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزُ يَقْطَعُ بِأَنْ جَهَادُ عَلِيٍّ (ع) وَبِطُولَاتِهِ
وَتَضَعِيفِيَّاتِهِ كَانَتْ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ وَإِعْلَاءِ كَلْمَتِهِ فِي دُنْيَا النَّاسِ، وَلَا يَمْكُنُ
أَنْ تَقْرَنْ بِأَيِّ لَوْنٍ مِنْ أَلوَانِ الْعَمَلِ الْآخِرِ، فَبِسَبِّبِ الثَّمَنِ الْبَاهِظِ الَّذِي
يَتَطَلَّبُهُ الْجَهَادُ، وَبِسَبِّبِ الدَّافِعِ الإِيمَانِيِّ الْمُخْلِصِ الَّذِي لَا تَشُوِّهُ شَائِبَةٌ
رَاحَتْ آيَاتُ اللَّهِ تَعَالَى تَحْدِيدَ المَوْقِعِ الرَّفِيعِ الَّذِي يَحْتَلُهُ عَلِيٌّ (ع) فِي
دُنْيَا الْمُتَقِينَ.

**﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَيَةَ الْحَاجِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنَ أَمْنَ بِإِلَهِ
رَأْلِيْوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.**

(التوبه / ١٠٩)

فَعَلَى أَثْرِ حَوَارٍ تَفَاخِرٍ بَيْنَ طَلْحَةَ بْنَ شَيْبَةَ وَالْعَبَاسَ بْنَ
عَبْدِ الْمُطَلَّبِ، قَالَ فِيهِ طَلْحَةُ: أَنَا أُولَى النَّاسِ بِالْبَيْتِ لَأَنَّ الْمَفْتَاحَ
بِيَدِيِّ.

فَقَالَ الْعَبَاسُ: أَنَا أُولَى، أَنَا صَاحِبُ السِّقَايَةِ وَالْقَائِمِ عَلَيْهَا!
وَفِيمَا كَانَا يَتَفَاخِرَانِ مِنْ الْإِمَامِ (ع) فَاقْتَخَرَ عَلَيْهِمَا بِقَوْلِهِ: «لَقَدْ
صَلَّيْتُ قَبْلَ النَّاسِ أَنَا صَاحِبُ الْجَهَادِ» فَنَزَّلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ
كَاشِفًا عَنِ الْمَسْتَوْىِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَتَبَوَّأُهُ عَلِيٌّ (ع) مِنْ نَاحِيَةِ عَمَلِهِ
الْإِسْلَامِيِّ: ضَخَامَةً وَإِخْلَاصًا^(١)، بَعْدًا وَجَوَهْرًا.

(١) تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ج ١٠ ص ٥٩ وَأَسْبَابُ النَّزُولِ لِلْوَاحِدِيِّ ص ١٨٢
وَالقرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ والرازي في تفسيره والنَّسفي والسيوطى وسواعم،
نقلاً عن فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٧٩.

الأخلاق الاجتماعية

- ١: إشاعة العدل الاجتماعي بين الناس.
- ٢: تواضع الامام.
- ٣: حلم الامام.
- ٤: التورع عن البغي.
- ٥: شواهد من صبر الامام.

بمقدور المتبع أن يتخذ من وصف ضرار بن ضمرة لأمير المؤمنين (ع) منطلقاً للدخول في عالمه الرحيب.

فقد دخل ضرار على معاوية - أيام استكان الناس وأسلموا لمعاوية القياد - فألح على الرجل أن يصف له علياً (ع) فتردد ضرار كثيراً، فلما مضى معاوية في إصراره قال ضرار:

أما إذا لا بد «فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته».

كان والله غزير الدمعة، كثير الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، بعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سأله، ويبتدىئنا إذا أتيه، ويأتينا إذا دعوه.

ونحن والله مع قربه منا، ودنوه إلينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته، فإن تسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلة، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل قائماً في محاربه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأنه أسمعه وهو يقول:

يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم إلي تشوقت، هيهات، هيهات!! قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حصير وخطرك كبير.. آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق «^(١)».

وهذا الوصف للإمام (ع) على وجاهته يكشف بعمق عن الإطار العام لشخصية الإمام (ع) في شتي ملامحها في الحقل الروحي والإجتماعي، في علاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وكيفية تعامله مع الناس من حوله.

وحيث قد عقدنا هذا الفصل للحديث عن الأخلاق الإجتماعية التي التزم بها (ع) في حياته العملية، فإن حديث ضرار يضع في أيدينا رأس الخيط الذي يوصلنا إلى طبيعة العلاقات الإجتماعية. التي. سلكها أمير المؤمنين في حياته (كان والله كأحدنا يجيئنا إذا سألناه وبيتدئنا إذا أتيناها، ويأتينا إذا دنوها، ونحن والله مع قربه منا ودنهو إلينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبديه لعظمته.. يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله..).

(١) تذكرة الخواص ص ١٢٧ - ١٢٨ والإمام علي بن أبي طالب - محمد رضا ص ١٢ .
تشوقت: تزييت.

ويبدو أن هذا اللون من علاقة أمير المؤمنين مع قومه إنما كان في أيام حكمه، مما يطرح بين أيدينا تصوراً ناضجاً عن عظمة أمير المؤمنين (ع) وبلوغه القمة في مدارج الكمال والفضيلة، فمع أن الإمام (ع) كان يحتل موقع القيادة في دنيا الناس، ويبيده أزمة حياتهم الفكرية والإجتماعية، نراه كواحد من عامة الناس، وكان موقعه ليس في أعلى مركز قيادي فهو يلغى الحواجز والألقاب، ويعامل الأمة كما لو كان واحداً من عامتها بقلب حان، ونفس متواضعة، وحب صادق عميق.. وهي روح لم يألفها التاريخ الإنساني منذ الأمد الموجلة في القدم حتى اليوم في قيادة غير قيادة رسول الله (ص) ووصيته علي (ع)..

وقد وفق الإمام (ع) توفيقاً عظيماً في قيادة الوعيين لأهمية قيادته في دنيا المسلمين على الأقل.

فقد كانت قيادته مبنية على الحب والإجلال معًا فبقدر ما كان يبذل من دفع وده للأمة، كان أتباعه يمنحونه الكثير من الود والتعظيم ..

الأمر الذي يذكرنا بسياسة رسول الله (ص) ويطرحها واقعاً حياً في دنيا الناس^(١)، فالتجربة واحدة في هذا المضمار وسواء، وإن تغير الموضع التاريخي.. ورحم الله صعصعة ابن صوحان حيث يقول في وصفه للإمام (ع) «كان فيما كأحدنا لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهايه، مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه»^(٢) وتتجلى عظمة الإمام (ع) في أخلاقه الإجتماعية من خلال المبادئ الآتية:

(١) راجع القسم الثالث من سيرة المصطفى (ص) للمؤلف.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥.

أولاً- اشاعة العدل الاجتماعي بين الناس:

جاءت الخلافة للإمام (ع) في ظروف بالغة الخطورة والتعقيد، فذوو النفوذ من الناس قد ألفوا الإستئثار واستراحتوا إليه، وليس يسيراً أبداً أن يذعنوا لأية محاولة إصلاحية تضر بمصالحهم الذاتية.

ثم إن المطامع قد تنبهت لدى الكثير من الرجال، بعد أن أصبحت الخلافة مغناًماً لا مسؤولية لحماية الشريعة والأمة، ولقد كان الإمام (ع) مدركاً لحقيقة الموقف بدقيقته وخفايته بشكل جعله يعتذر عن قبول الخلافة حين أجمعـت الأمة على بيعته بعد مقتل الخليفة عثمان قائلاً: «دعوني والتمسوا غيري فأنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا ثبتت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والممحجة تنكرت...»^(١). ولكن جماهير المدينة المنورة، وجماهير الثوار من العراق ومصر أصرـوا على استخلافه عليهم، فنزل الإمام عند رغبـتهم، ولكن وفقاً لشروطـه الخاصة - هو «واعلموا أنـي إنـ أجبـتكم ركـبتـ بـكم ما أعلمـ، وـلم أصـنـعـ إـلـى قولـ القـائلـ وـعـتبـ العـاتـبـ»^(٢).

ولقد كانت أولى مهام الإمام (ع) أن يجسد العدالة الاجتماعية في دنيـا الناس ويمنـع المـنهـجـ الإسلاميـ فـرـصـةـ فيـ الـبنـاءـ وـالتـغيـيرـ عـلـىـ شـتـىـ الأـصـعـدـةـ، فـدـشـنـ (ع) خـطـطـهـ الإـصـلاحـيـةـ، بـإـلـغـاءـ السـيـاسـةـ المـالـيـةـ لـوـالـإـجـتمـاعـيـةـ وـالـإـدـارـيـةـ التـيـ كـانـ مـعـمـولاًـ بـهـاـ لـيـفـرـ الجـوـ المـنـاسـبـ لـتـطـبـيقـ المـخـطـطـ الإـسـلامـيـ فـيـ العـدـالـةـ الإـجـتمـاعـيـةـ:

أ- استرجاع الأموال التي تصرف بها بنو أمية من بيت المال.

(١) و(٢) نهج البلاغة ص ١٣٦ تبـيـبـ صـبـحـيـ الصـالـحـ.
المـمحـجـةـ: الطـرـيقـ، تـنـكـرـتـ: تـغـيـرـ عـلـائـمـهاـ وـأـصـبـحـتـ مـجـهـولـةـ.

ب - واستغنى عن كثير من الولاة الذين أساءوا التصرف، وخالفوا أمر الله تعالى ، وتحطموا منهجه الأقوام الذي ارتضاه لعباده ..

ج - ثم بادر إلى تبني سياسة المساواة في توزيع المال والحقوق، منهاجاً بذلك دور الطبقية والتمييز والأثرة:

«المال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد»^(١).

«إلا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهر، وركبوا الخيل ، واتخذوا الوصائف المرفقة، إذا منعهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصررتهم إلى حقوقهم التي يعلمون ، حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا»^(٢).

وتبني الإمام سياسة العدل الشامل:

- في معاملة أفراد الأمة.

- وفي منهج الحقوق.

- وفي توزيع المسؤوليات.

وكان منهج الإمام (ع) في العدل لا يناظره إلا منهج رسول الله (ص) إن لم نقل أنه منهج الرسول (ص) بالذات.

فهلم نضع إلى منهاجه المتبني في سياسة الأمة بالعدل من خلال حديثه (ع). «.. والله لئن أبىت على حسك السعد إن مسهدأ ، وأجر في الإغلال مصفداً ، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيمة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء من الحطام .. والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها

(١) و(٢) نفس المصدر.

جلب شعيرة ما فعلت، وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم
جريدة تقضى بها، ما لعلي، ونعم يفني ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من
سيات العقل وقبح الزلل وبه نستعين»^(١).
«الدليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له»^(٢).

«وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولاقدن الظالم بخزامته
حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها...»^(٣).

ولم تكن هذه المبادئ التي يتحدث عنها الإمام (ع) ذاته،
آمنيات وأفكاراً طرحتها في دنيا المبادئ والأفكار، وإنما جسدها واقعاً
جياً قبل أن يطرحها فكراً..

وهي خصيصة من خصائص علي (ع) فالقول عنده يعقب العمل
أو يجري من طبيعته..

ومن أجل ذلك ملا الإمام (ع) دنيا المسلمين قسطاً وعدلاً وحق
انقلاباً في واقع المسلمين على الصعيد الاجتماعي والإقتصادي
والسياسي وفقاً لمقتضيات العدل الإلهي فأعاد بذلك أيام
رسول الله (ص) في صفاتها وإشراقها وعدلها الشامل..

فحسبك أن أمير المؤمنين (ع) كان يرتدي القميص المرقوع^(٤)
ويبالغ في رفع مدرعته كلما تمزق جانب منها حتى يبلغ الأمر
بالإمام (ع) أن يستحيي من راقعها^(٥).

(١) نهج البلاغة تبويب د- صبحي الصالح رقم النص ٢٢٤.
حسك: شوك.

والسعadan: نبت ضائق ترعاه الإبل.

(٢) روائع من نهج البلاغة ص ١٢٣.

(٣) نهج البلاغة رقم النص ١٣٦.

(٤) و (٥) تذكرة الخواص ص ١٢٥.

وكان يخرج إلى السوق ليبيع سيفه كي يشتري بشمنه أزراراً^(١)
وهو في علو شأنه وعظمته مركزه الذي يحتل في دنيا المسلمين حيث
تجبي إليه الأموال من أقاليم الدولة الإسلامية جميعها، وثروات الدولة
تحت تصرفه ..

وكان يأكل خبز الشعير بنخالته وكان غالب أدامه اللبن أو الملح
والماء ..

ولم يكن للإمام (ع) غير قميص واحد لا يجد غيره عند
غسله^(٢).

ومع شدة زهد الإمام (ع) في الدنيا، فقد كان حريصاً على توفير
الرفاہ الاقتصادي للأمة التي اضططع بقيادتها، فكان يقسم الذهب
والفضة بين الناس، ويطعمهم اللحم والخبز^(٣) ويعمل كل ما في وسعه
لرفع غائلة الفقر عنهم.

- وكان بيت المال لا يكاد ترد إليه الأموال حتى يبادر الإمام (ع)
إلى توزيعها على الناس، لإعطاء كل ذي حق حقه.

- وكان منهاجه في توزيع المال التزام أقصى درجات العدالة ..

فها هو يخاطب الزبیر وطلحة حينما كبر عليهما منهاج المساواة
في العطاء «.. فوالله ما أنا وأجيри هذا إلا بمنزلة واحدة»^(٤).

وها هو سهل بن حنیف يخاطبه: يا أمير قد أعتقدت هذا الغلام،
فأعطيه ثلاثة دنانير مثل ما أعطي سهل بن حنیف»^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديدة ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٢) المناقب للمازندراني ج ٢ ص ٩٧ عن أحياء العلوم للغزالى .

(٣) من حديث للإمام الصادق(ع) البحار ج ٤٠ ص ٣٣٠ .

(٤) و (٥) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٧٨ .

ويأتيه عاصم بن ميثم - وكان الإمام (ع) يقسم أموالاً - فقال.

- يا أمير المؤمنين لانيشيخ مثقل.

فقال الإمام (ع) :

والله ما هي بكم يدي ولا بتراثي عن والدي ، ولكنها أمانة
أوعيتها^(١).

وجاءه عبد الله بن زمعة - وهو من شيعته - يطلب منه مالاً .

فقال له الإمام (ع) :

- إن هذا المال ليس لي ولا لك ، وإنما هو فيء لل المسلمين
وجلب أسيافهم ، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم ، ولا
فجنة أيديهم لا تكون لغير أفواههم^(٢).

ويدخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال يتولى
بعض شؤون المسلمين ، فاطفاً الإمام (ع) السراج وجلس في ضوء
القمر^(٣) ، فالسراج ملك الأمة ، فلا يصح أن يستضيء به ابن العاص ،
وهو في زيارة خاصة للإمام (ع) !

حرص فريد على أموال الأمة ، وسهر دائم على مصلحتها وعمل
دائم من أجل إسعادها وهدايتها وإصلاح شأنها.

على أن تعاهد أمر الأمة من لدن علي (ع) ليس محصوراً في
إطار المال وتوزيعه وإنما يمتد لكي يشعر الإناسن بكرامته ويعيد وعيه

(١) نفس المصدر ص ٣٧٧ .

(٢) البحارج ٤١ ص ١١٥ ونهج البلاغة رقم النص ٢٣٢ .

(٣) المناقب ص ٣٧٧ .

بحقه في الحياة الحرة الكريمة، ويعلمه أن يتمرد على الظلم والكبت وسلب الإرادة:

- «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرآ».

- «أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والإحکام وإمامۃ المسلمين البخلیل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاھل فيضلهم بجهله ولا الجافی فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فیتخدذ قوماً دون قوم، ولا المرتشی في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيھلك الأمة»^(۱).

- «فلا تكلموني بما تكلم به الجبارۃ، ولا تحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البدارۃ، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بين استشقاؤاً في حق قيل لي، فإنه من استشقلي الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه! فلا تكفووا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل»^(۲).

وتمتد ظلال العدالة في عهد أمير المؤمنین (ع) فيرعى أسواقهم من ناحية المکاییل والمعروض من السلع وطبيعة المعاملات فيها، فيخرج كل يوم يتفقد أسواق المسلمين بنفسه فيرشد الضال، ويهدي المقصر إلى طريق الحق، ويأمر بكل معروف، وينهى عن المنكر..^(۳).

ولشدة حرص الإمام (ع) على تطبيق العدالة الإسلامية بأروع

(۱) نهج البلاغة رقم النص ۱۳۱.

(۲) نهج البلاغة رقم النص ۲۱۶.

(۳) راجع البحارج ۴۱ ص ۱۰۴ للإطلاع على منهاجه في مراقبة حالة السوق.

صورها في دنيا الناس، وعلى شتى الأصعدة أنه وجد درعه عند رجل نصراني، فوقف معه أمام القاضي ليقاضيه في الأمر.

فقال الإمام (ع): إنها درعي، ولم أبع، ولم أهب.

فَسْأَلَ الْقَاضِيَ الرَّجُلُ النَّصَارَانيَّ: مَا تَقُولُ فِيمَا يَقُولُ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ؟

قال الرجل: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندك بكافر.

فالتفت القاضي للإمام (ع): طالباً بينة تشهد أن له الدرع.

فضحك الإمام (ع) معلناً أنه لا يملك بينة من ذلك النوع.
فقضى القاضي بأن الدرع للنصراني، فأخذها ومضى، والإمام ينظر
إليه.

إلا أن الرجل عاد وهو يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام
أنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاض يقضي عليه..

- الدرع - والله - درعك يا أمير المؤمنين، وقد كنت كاذباً فيما
أدعية^(١).

وحصيلة الأمر أن يعلن الرجل إسلامه ويخلص في الوقف تحت راية الإمام (ع) مؤمناً مجاهداً ذاتياً عن رسالة الهدى..

ويقدر ما كان الإمام (ع) حريصاً على تجسيد روح العدالة التي
صدع بها رسول الله (ص) لإخراج الإنسان من ظلام الظلم والقهر
والكبت، كان حريصاً كذلك على إلزام ولاته وقضاته وقادة جيوشه،
وجباة الأموال بالتزام العدل في معاملة الناس، وتحري الحق في

(١) علي وحقوق الإنسان - جورج جرداق ط بيروت ١٩٧٠ ص ٨٧.

الحكم والقضاء وإعطاء الحقوق، وفي جمع المال وحتى في حالات الحرب وسواها ..

وصايا للولاية:

وهذه بعض وصاياته في هذا المضمار:

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشيطان، وأعلم أن ما قررك من الله يبعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار»^(١).

«أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمته دون عباده ..»^(٢).

ومن توجيهاته (ع) لجباة الأموال:

«... انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي، فأنزل بما لهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم أمض - بالسکينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخدع بالتحية لهم، ثم تقول:

عباد الله، أرسلني إليكم ولِي الله، وخليفة لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل الله في أموالكم من حق، فتؤدوه إلى ولِيه ..»^(٣).

(١) وصيته لعبد الله بن عباس حين ولاد البصرة رقم النص ٧٦ نهج البلاغة.

(٢) نفس المصدر - عهد الإمام (ع) لمالك الإشترحين ولاد مصر.
طيرة: خفة وطيش.

(٣) منهج البلاغة رقم النص ٢٥ - لا تخدع بالتحية: لا تبخل بها عليهم.

«إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصراانياً في درهم خراج، أو
تبيع دابة عمل في درهم، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»^(١).
ومن تعليماته لجيشه:

ولقد كان (ع) يوصي جنوده في حالات الحرب بـألا يبدأوا بقتال
العدو، حتى يبدأهم بالحرب، ولا يقتلوا من ولد ذبيه عن قتالهم، ولا
يقتلوا الجريح ومن عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب، ولا يؤذوا
النساء بشيء حتى وإن بدأن بسبب أو شتم^(٢).

ونحو ذلك من وصاياه (ع).

رأيت عدلاً رفيعاً كهذا العدل؟

بل هل حدثك التاريخ الإنساني عن رجل يحب الخير حتى
لخصومه الذين ناصبوه العداء؟

إنه علي (ع) صاحب القلب الكبير، الذي شمل الناس بحب
غامر، فبسط لهم العدل في حياتهم، وأشعرهم بحقيقة الكرامة
الإنسانية ووفر لهم غطاء من الأمان والإستقرار في جو الشعور بالمساواة
والحياة الحرة الكريمة.

ثانياً - تواضع الامام:

خلق التواضع في معاملة الناس، بقدر ما يكون عبادة إسلامية
يندب الشرع الإلهي إليها، كذلك يعبر عن إحدى صيغ التعامل
الفاضل بين أبناء الأمة، فهو من وسائل توحيد الكلمة وجمع الشمل،

(١) من وصيته لصاحب الخراج على القادسية وسود الكوفة انظر بحار الانوار ج ٤١
ص ١٢٨ نقلأ عن الكافي، العفو: الفاضل عن النفقه.

(٢) راجع نهج البلاغة رقم النص ١٤ وغيره.

إشاعة المودة وإلغاء التفاوت الطبقي.

ولقد كان الإمام علي (ع) مثلاً أعلى في تواضعه كما كان رسول الله (ص) من قبل.

وسيرته العطرة تطرح المزيد من الشواهد على ذلك الخلق الإسلامي الرفيع:

فعن الإمام الصادق (ع) يقول: «كان أمير المؤمنين يحطب ويستسقي ويكتنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز»^(١).

وكان الإمام (ع) يشتري حاجته وحاجة أسرته الكريمة من السوق بنفسه، ويحملها بيده، وهو أمير المؤمنين، ويحظى باحتلال أرفع مركز في حياة المسلمين، ولقد كان الناس يسرعون إليه لحمل أشيائه حين يرون ذلك منه، ولكنه يأبى عليهم ويقول: رب العيال أحق بحمله^(٢).

وكان (ع) يسير في الأسواق وحده، لا يصبحه حشم ولا خدم، ولا جند، فيرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبقالين والتجار ويأمرهم بالتواضع وحسن المعاملة ويتلوا عليهم قوله تعالى ﴿تَلَكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عَلَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

ومن عظيم تواضعه (ع) أنه خرج يوماً على أصحابه وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم فقال:

- ألمكم حاجة؟ قالوا:

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧٢.

(٢) نفس المصدر نقلأ عن فضائل ابن حنبل.

(٣) المناقب ص ٣٧٢ وبحار الأنوار / ٤١ ص ٥٤.

- لا يا أمير المؤمنين، ولكننا نحب أن نمشي معك.

قال لهم:

- «انصرفوا فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة
للماشي»^(١).

وقد استقبله زعماء الأنبار وترجلوا وأسندوا بين يديه فقال (ع):

- ما هذا الذي صنعتموه؟ قالوا:

- خلق منا نعظم به أمراعنا.

قال (ع):

- «والله ما ينتفع بهذا أمرؤكم، وإنكم لتشقون به على أنفسكم،
وتشقون به في آخرتكم، وما أخسر المشقة براءها العقاب، وما أربع
الراحة معها الأمان من النار»^(٢).

ومن تواضعه الجم أكله خبز الشعير واللبن، ولبسه أبسط أنواع
اللباس، وترقيعه لثوبه البالي، وبساطته في مسكنه^(٣) ووقوفه بين يدي
القاضي مع رجل من عامة الشعب الذي يضطلع الإمام (ع) بقيادته^(٤).

ومن أدبه الكامل تسليمه على النساء^(٥) من قومه، ومشيه مع
المرأة لقضاء شأن من شؤونها حتى وإن جلب له الأمر مشقة، فعن
الإمام الباقي (ع) قال:

(١) البحار ص ٥٥ عن المحاسن والكافي عن الصادق (ع).

(٢) المناقب ص ٣٧٢ والبحار ج ٤١ ص ٥٥.

(٣) للتفاصيل راجع الحلقة الثانية من هذه الدراسة وبعضاً من فصول هذه الحلقة:
كرزهد الإمام (ع) وإقرار العدل.

(٤) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٦ وعلى وحقوق الإنسان - جرداق ص ٨٧.

(٥) الكافي ج ٥ باب التسليم على النساء حديث رقم ٣.

«رجع الإمام (ع) إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة
تقول:

- إن زوجي ظلمني، وأخافني، وتعدى علي..

فقال الإمام:

- يا أمّة الله أصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إن شاء
الله، فقالت:

- يشتد غضبه عليّ.

فطأطا الإمام (ع) رأسه ثم رفعه وهو يقول:

- لا والله أو يأخذ للمظلوم حقه غير متعن! أين منزلك؟

ووقف الإمام (ع) على باب المنزل فقال:

- السلام عليكما، فخرج شاب.

فقال له الإمام (ع):

- يا عبد الله اتق الله، فإنك قد أخفتها وأخرجتها!

فقال الفتى:

- وما أنت وذاك؟ فقال أمير المؤمنين:

- أمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر
لالمعروف؟

فأقبل الناس يلقون التحية على الإمام (ع):

- سلام عليكم يا أمير المؤمنين.

فأسف الشاب على ما كان منه وهو يقول:

- يا أمير المؤمنين أقلني عشرتي ، فوالله لا تكون لها أرضاً طوّني .

فالتفت الإمام إلى المرأة قائلاً :

- يا أمة الله ادخلني منزلك ولا تلجمي زوجك إلى مثل هذا وشبيهه^(١) .

وكان الإمام (ع) قريباً سهلاً هيناً يلقي أبعد الناس وأقربهم بلا تصنع ولا تكلف ، ولم يحط نفسه بالألقاب ولا زخرفة الملك ، بل كان يتعامل مع الأمة كفرد منها ، يعيش مشاكل الضعفاء ، ويحب المساكين ، ويتودّد للفقراء ، ويعظم أهل التقوى من الناس .

ولقد كان من شواهد رفقه بالأمة وتواضعه في المعاملة وسهولته ، ومرؤنته : مقابلته لمن يلقاء بالبشر وطلقة المحب والابتسامة الحلوة وبشر الوجه ، إلغاء منه للحواجز والرميمات بين القيادة والأمة ، وإنهاء لدور الزخرفة والألقاب التي يحيط بها الأمراء والقادة أنفسهم عبر تعاملهم مع الناس .

ولاشتهره بتلك الروح الإجتماعية السمحبة بين عامة الناس حاول أعداؤه أن يشوها تلك الميزة في الإمام (ع) ويحولوها إلى عيب ينزوونه فيه إمعاناً منهم في تشويه واقع سياسته وجميل صفاته الشخصية والإجتماعية .

فعمرو بن العاص يحدث أهل الشام عن علي (ع) فيقول : إنه ذو دعابة شديدة^(٢) محاولاً الإنقاذه من شأن الإمام (ع) والإمعان في تغطية فضائله ، والعمل على كل ما من شأنه تضليل الناس هناك لكي يحال بينهم وبين التطلع لواقع الإمام (ع) وحقيقةه .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥ .

حتى إن الإمام (ع) حين بلغه افتراء ابن العاص قال: «عجبأ
لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعابة ولاني أمرؤ تلعابة»^(١).

ولقد كان معاوية بن أبي سفيان يشيع ما يشيعه ابن العاص
كذلك في مناسبة وأخرى.

وما يضير أمير المؤمنين (ع) إذا عابه معاوية وابن العاص، فلقد
كان عليه السلام يقتفي أثر رسول الله (ص) في سماحة أخلاقه وطلاقه
محياه سواء بسواء.

وكان (ع) يعمل على الإلتصال بالناس للتعرف على ما يعانون
حتى أنه كان يمشي في الأسواق ويتبع الحركة التجارية من ناحية
الوزن والإسعار ونوعية المعروض من السلع - كما المحنا إليه قبل
قليل.

وكان الإمام (ع) حريصاً على متابعة تصرفات الولاية في البلدان،
والقادة وجيزة الأموال، ويأمرهم بالرفق والتواضع في معاملة الناس.

وما أروع روح التواضع عند علي (ع) كما يصفها ضرار ابن
ضمرة في حديثه لمعاوية - الذي افتحنا به هذا الفصل - «يعجبه من
اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، .. كان والله كأندنا يجiblyنا
إذا سأله، ويبتدىئنا إذا أتيته، ويأتينا إذا دعوناه.. يعظم أهل الدين،
ويحب المساكين»^(٢).

ثالثاً: حلم الامام:

ولقد كان الإمام (ع) قمة في حلمه وعفوه عن يسيء الأدب

(١) | شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥ .
تلعابة: كثير المرح واللعب.

(٢) المناقب ج ١ ص ٣٨١ .

معه، فهو لا يعرف الغضب إلا حين تنتهك للحق حرمتها أو تتعدى حدود الله تعالى ، أو يتعدى على حقوق الأمة وتضر مصلحتها.

وخلق الإمام (ع) في الحلم والصفح عن المسيء ظل هو هو لم يتغير، فعلي (ع) في صفحه وحلمه قبل خلافته، كعلي في صفحة وصفوه أيام قيادته المباشرة للأمة، على أن عظمة الإمام (ع) تزداد قوة وجلاء حين يظل يصفح ويمنع في عفوه حتى عن أشد خصومه في وقت يمتلك القدرة على العقاب والإرهاب والقتل.

فهو في أيام خلافته في مركز يؤهله أن يقتصر من خصومه، فهو رئيس الدولة، والمطاع الأول بين أتباعه غير أنه مع هذا وذاك ظل يحمل نفس الروح من العفو والتتجاوز كما كان رسول الله (ص) سواء.

وهذه نماذج من عفوه:

- أسر مالك الأشتر (رضي) مروان بن الحكم يوم الجمل فلما مثل مروان بين يدي الإمام (ع) لم يستقبله بسوء قط، وإنما عاتبه على موقفه الخيني اللثيم فحسب^(١) ثم أطلق سراحه ومروان هو هو في حقده على الإسلام والإمام (ع)، وهو في دسائسه ومكره، ودوره الخبيث في تأجيج الفتنة في وجه الإمام (ع) أشهر من أن نذكره، فهو الذي عارض البيعة للإمام (ع) وهرب من المدينة المنورة بعد البيعة مباشرة، وهو الذي ساهم في فتنة البصرة، وألهب الناكثين وأغراهم بالتعجيل بها.. إلى غير ذلك من مواقفه الخسيسة.

- ولقد عفا الإمام (ع) كذلك عن عبد الله بن الزبير^(٢) بعد أسره

(١) المناقب ج ١ ص ٣٨ ونهج البلاغة نص ٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢.

يوم الجمل، وعبد الله بن الزبير هو الذي كان يقود الفتنة في حرب الجمل.

- وجيء بموسى بن طلحة بن عبيد الله، وكان طرفاً في فتنة الجمل فلما وقف بين يدي الإمام (ع) خلى سبيله، ولم يعنفه عن دوره في الفتنة، وإنما طلب منه أن يستغفر الله ويتب إله ثم قال: اذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه، واتق الله فيما تستقبله من أمرك وأجلس في بيتك^(١).

ومن عظيم عفوه ما رواه الإمام الباقر (ع) قال: «كان علي (ع) إذا أخذ أسير في حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه»^(٢).

رأيت موقفاً إنسانياً كهذا الموقف؟

لقد كان الإمام (ع) مدركاً أن الذين يقاتلونه من أهل الشام إنما يقاتلونه وهم عن حقيقته غافلون، فقد أغراهم معاوية بالمال، وسد عليهم منافذ التفكير والوعي على الحقائق بما استخدمه من وعاظ وسوء وواضعى حديث ممن باعوا ضمائراهم لإنحراف صوب الجاهلية.

وبناء على هذا الوعي العلوي لحقيقة مقاتلاته ومن أغراهم معاوية وغرر بهم، فقد سبق حلم الإمام (ع) عدله في معاملتهم فلم يعاقب من اتخذ منهم أسيراً، وإنما يجرده من أداة الشر، ويضعه أمام الله والضمير كي لا يعود لقتال معسكر الحق الذي يقوده الإمام (ع).

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٠ نقلأ عن النهاية.

الكراع: جمع الخيل.

(٢) المناقب ج ١ ص ٣٨١ عن ابن بطة والسجستاني.

ويذكرونا هذا الموقف الكريم بموقف معاوية وعمرو بن العاص اللذين كانا يصران على قتل الأشraf من جيش الإمام (ع)، بيد أنهما خشيا الفضيحة إذا أقدما على ذلك بعد أن خلى الإمام (ع) عن أسراهם ابتداءً فعدل معاوية وصاحبـه عن موقفهما لا لطـيب خلقـهما، وإنما خـشـية نـقـمة الرأـي العام الإسلامي^(١).

ولم نذهب بعيداً وتلك معركة صفين تحمل أحـدـاثـهاـ الكـثـيرـ الكـثـيرـ من مـواقـفـ الصـفـحـ العـلـوـيـ .ـ فـحـينـ سـبـقـ جـيـشـ مـعـاوـيـةـ إـلـىـ مـاءـ الـفـرـاتـ أـصـرـ عـلـىـ منـعـ المـاءـ عـنـ جـيـشـ عـلـيـ (ع)ـ .ـ فـأـوـفـدـ الإـلـامـ (ع)ـ لـمـعـاوـيـةـ وـفـدـاـ كـيـ يـغـيـرـ مـوـقـفـهـ .ـ وـلـكـنـ مـضـىـ فـيـ إـصـرـارـهـ وـمـوـقـفـهـ الـلـاـ أـخـلـاقـيـ .ـ .ـ .ـ

فـاضـطـرـ الإـلـامـ (ع)ـ لـتـحـرـيـكـ قـوـةـ مـنـ جـيـشـهـ لـفكـ الحـصـارـ .ـ وـكـانـتـ التـيـجـةـ أـنـ سـيـطـرـ جـيـشـ الإـلـامـ (ع)ـ عـلـىـ المـاءـ .ـ وـلـكـنـ عـلـيـاـ حـمـلـهـ حـلـمـهـ الرـفـيـعـ وـكـرمـ نـفـسـهـ عـلـىـ بـذـلـ المـاءـ لـخـصـمـهـ قـاتـلـاـ لـجـنـودـهـ :ـ «ـخـذـواـ مـنـ المـاءـ حـاجـتـكـمـ وـارـجـعواـ إـلـىـ عـسـكـرـكـمـ .ـ وـخـلـواـ عـنـهـمـ فـإـنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ قـدـ نـصـكـمـ عـلـيـهـمـ بـظـلـمـهـمـ وـبـغـيـهـمـ»^(٢).

ولـقـدـ كـانـ مـقـدـراـ لـلـإـلـامـ (ع)ـ أـنـ يـذـيقـهـمـ الـهـزـيمـةـ الشـاملـةـ لـوـ أـنـهـ مـنـعـهـمـ المـاءـ وـحـالـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـهـ،ـ وـلـكـنـهـ الـأـخـلـاقـ الـإـلـهـيـةـ التـيـ يـتـمـسـكـ بـهـاـ وـيـجـسـدـهـ حـيـةـ فـيـ دـنـيـاـ النـاسـ تـأـبـيـ عـلـيـهـ ذـلـكـ اللـونـ مـنـ المـوـاقـفـ..ـ حـتـىـ يـقـعـ التـميـزـ الـحـاسـمـ بـيـنـ مـنـهـجـ الـهـدـىـ وـالـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ فـيـ الـفـكـرـ وـالـعـمـلـ الـذـيـ يـمـثـلـهـ عـلـيـ (ع)ـ وـبـيـنـ سـبـيلـ الـإـنـحرـافـ وـالـإـلـتوـاءـ وـالـلـاـ أـخـلـاقـ الـتـيـ يـجـسـدـهـاـ مـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ ..ـ

(١) الإمام علي بن أبي طالب - محمد رضا ص ٢٢٣.

(٢) نفس المصدر ص ١٧٣.

ولنا أن نعرض شواهد من حلم الإمام (ع) وعظيم صفحه في حياته الخاصة كذلك:

- «دعا الإمام (ع) غلاماً له مراراً فلم يجده، فخرج فوجده على باب البيت فقال:

ما حملك على ترك إجابتي؟ قال:

كسلت عن إجابتك، وأمنت عقوتك. فقال (ع):

الحمد لله الذي جعلني ممن يأمن خلقه، أمض فأنت حر لوجه الله»^(١).

- وقد خاطبه رجل من الخوارج بقوله «.. قاتله الله كافراً ما أفقهه!».

فوثب أصحاب الإمام (ع) ليقتلوه .. فقال الإمام (ع):

رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب^(٢).

وهكذا شمل الرجل بعفوه، وحال بين القوم وبين معاقبته.

هذا وفي سيرة الإمام (ع) الكثير من مثل هذه المواقف التي تعبّر عن خلق الهي كريم أطرت به شخصية علي (ع)، على إننا لو غضبنا الطرف عن كافة مواقف الحلم التي اصطبغت بها حياة علي (ع) بالنسبة إلى المسيئين له أو أعدائه لكان في موقف الإمام (ع) من قاتله ابن ملجم المرادي أعظم شاهد على تمنع الإمام (ع) بنمط من الأخلاق السامية لم يتمتع بها سوى الأنبياء والمقربين من البشر، فهل أنبأك التاريخ عن إنسان عامل عدوه بنفس الروح التي عامل بها

(١) المناقب ج ١ ص ٣٧٩.

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٠ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٩.

علي (ع) قاتله، لقد شدد الإمام (ع) على أهل بيته أن يطعموا قاتله ويسلقوه ويحسنوا إليه فعن الإمام الباقر (ع) وهو بصدق ذكر إحدى وصايا الإمام أمير المؤمنين (ع) في آخر حياته يقول:

أن علي بن أبي طالب عليه السلام.. قال للحسن والحسين (ع): «احبسوا هذا الأسير - يعني ابن ملجم المرادي - وأطعموه وأسلقوه، وأحسنوا إساره فإن عشت فأنا أولى بما صنع في، إن شئت استقدت وإن شئت صالحت، وإن مت فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به»^(١).

رابعاً. التورع عن البغي:

والتورع عن البغي أصل من أصل، نسبية الإمام (ع) وخلق من أخلاقه الكريمة، وهو مظهر من مظاهر التقوى التي يمتاز بها، فهو يتحاشى البغي حتى على أشد الناس خصومة له وللحق الذي هو عليه، وحتى إذا بغي عليه يبقى مصرأً على التزام خطه في النأي عما له صلة بأي لون من ألوان البغي ..

ومن أجل ذلك كان الإمام (ع) داعية السلم الأكبر، مع كثرة الشغب والفتن التي أثارها بعض الناس في طريق مسيرته الإصلاحية:
- بذل كل ما في وسعه أن يتجنب الأمة المسلمة سفك الدماء وتمزق الصف، حين ألح على الزبير وطلحة أن يعدلوا عن موقفهم، سواء من خلال المراسلة، أم الوفود أم اللقاءات الشخصية المباشرة مع الزبير وطلحة^(٢).

ولقد بلغ الأمر بالإمام (ع) حين التقى الجيشان في البصرة

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٠٦ باب ١٢٧.

(٢) تذكرة الخواص ص ٧٦.

أن يدعو الزبير فيخرج الإمام (ع) بلا سلاح، ويعانقه طويلاً وربما بكته على (ع) في ذلك الموقف، ثم عاتب الزبير على خروجه لقتاله، وذكره بعلاقة المودة القديمة بينهما كما ذكره بقول رسول الله (ص) فيهما: «أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (ص) يا زبير أتحب علياً، فقلت وما يمنعني من حبه، وهو ابن خالي؟ فقال (ص): أما أنك ستخرج عليه وأنت له ظالم.

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك^(١).

وحين أفلت الزمام وأصر الناكثون على إشعار نار الحرب بقى الإمام (ع) عند موقفه الرافض للبغى والعدوان، فلنصلغ إليه وهو يخاطب جنوده: «أيها الناس أنسدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً»^(٢).

وحتى بعد انتهاء المعركة بقى الإمام (ع) عند موقفه النائي عن العداون فأعلن العفو العام عن جميع المشتركين في حربه: القيادات والقواعد على حد سواء^(٣).

ـ وذاك الخلق العلوي تجلى في حوادث صفين من بدايتها إلى نهايتها: يقطع البغا عن طريق الوصول إلى الماء وهو في حيويته لجيش مقاتل كبير فلا يبادر لاستعمال العنف، بل يرسل الوفود، ويبذل المحاولات لتغيير الموقف بالي هي أحسن.. لكي لا تراق للمسلمين

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٦١ وفي تذكرة الخواص رواية مشابهة وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧٦ مثلها.

(٢) الفصول المهمة ص ٦٢ وتذكرة الخواص أيضاً.

(٣) راجع القسم الثاني من هذه الدراسة.

دماء.. ولكن البغي الأموي الحاقد الذي يجسده قولهم «ولا قطرة حتى تموت ظما»^(١) حمله على إصدار أوامره لقواته بالتحرك لكسر الحصار وهكذا كان.. وحين أمتلك الماء أباحه لجيش عدوه منذ الساعة الأولى من سيطرة قواته عليه.

- ومع أصحاب النهرawan بذل الإمام (ع) كل مسعى لأجل إبعاد الناس عن القتال، ولكن إصرارهم على قتال الإمام (ع) حال دون بلوغهم الصراط المستقيم فعاشوا في الأرض فساداً وقتلوا نفوساً بريئة، وأشاروا البلبلة في البلاد مما اضطر علياً (ع) إلى قتالهم، ولكن بعد محاولات عديدة أيضاً لجمع الصف، ودعوات مستمرة لإقرار السلم والقاء السيف^(٢).

وفي وصايا الإمام (ع) لجيشه وجية المال والولاة مؤشرات أخرى على التزام علي (ع) لمنهج اللاعبين واللاعدوان على أحد كائناً من كان ما ذكرنا منه طرفاً في الصفحات الماضية في هذا البحث.

- وما أعظم علياً أمير المؤمنين (ع) وهو ينص في عهده لمالك الأشتر على وجوب التزام الرفق بالناس، وعدم التعامل بأي لون من ألوان البغي والتعالي على الناس، وغumption حقوقهم المفترضة في شرع الله العظيم «.. وأشعر قلبك الرحمة للرعية، واللطف بهم، ولا تكون عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظير لك فيخلق.. فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحة.

أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك،

(١) بحار الأنوار ج ٤١، ص ١٤٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣.

(٢) راجع القسم الثاني من هذا الكتاب.

ومن لك هو في من رعيتك، فإنك إن لا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله دحض حجته، وكان الله حرباً حتى ينزع، ويتوّب»^(١).

ولم يكن منهاج علي (ع) هذا خاصاً بأهل مصر، وإنما هو منهاجه الشامل لكل البلاد التي رففت راية دولته الكريمة علياً.

- ولقد كان الإمام (ع) يعهد إلى ولاته في الأمصار مثل الذي عهده إلى مالك (رض) في وجوب إشاعة العدل، والرفق بالناس، وعدم البغى عليهم بحال من الأحوال أو معاملتهم بأي لون من ألوان الظلم ..

ولقد طرحتنا بعضاً من وصاياه للولاة فيما مضى من حديث.

خامساً - شواهد من صبر الإمام:

وقوة الإرادة والروح العالية في مواجهة مصاعب الحياة ركن أساسي في شخصية علي (ع) وقد لا نغالي إذا اعتبرناها قاعدة للكثير من مواقف الإمام (ع) في حياته العملية، مما ذكرناه أو مما لم نذكره، فشدة تعلقه بالله وكثرة عبادته، وتورعه عن البغى وزهده في الحياة الدنيا، وصفحه عن يسيء إليه وغيرها مؤشرات ضخمة على تسلح الإمام (ع) بصبر لا يعرف الهزيمة ولا النكوص عن القصد بشكل جعل الإمام (ع) وكأنه الصبر صار إنساناً.

ومع أن تلك المواقف والممارسات تمنع الدليل تلو الدليل على حجم الصبر الذي يتمتع به الإمام (ع) فإنه من المناسب أن نذكر إلى جانب ذلك مواقف وأحداث جرت في حياة علي (ع) وقد آثر الصبر،

(١) عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر حين ولاد مصر نهج البلاغة رقم ٥٣ ص ٤٢٦.

وربطة الجأش التي امتاز بها الإمام (ع) في طرحها في دنيا الواقع ..

- فحين أجمعت قريش في دار الندوة على قتل المصطفى (ص) من خلال عملية جماعية يتولاها من كل قبيلة شاب قوي ليذهب دم الرسول (ص) هدراً بزعمهم دون أن تستطيع بنو هاشم - عشيرة النبي - أن تطالب بدمه ..

حين أجمع رؤوس الشرك على تدبير ذلك الجرم، أبدأ الله تعالى رسوله (ص) بأمرهم :

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

(الأنفال / ٣٠)

وأمره تعالى بوجوب الهجرة إلى دار الإسلام «يشرب» فخرج (ص) مهاجراً بعد أن ترك علياً (ع) في فراشه متتحفاً ببردته فقضى الإمام (ع) ليلته في فراش رسول الله (ص) دون أن يكترث بما حوله من مكر مبيت. فلقد كان محتملاً أن ينقض أولئك الأوغاد على الإمام (ع) بسيوفهم دون رحمة، مدفوعين بالحقد الجاهلي الأسود البليد، دونما أقل اكتتراث، ظناً منهم أنه الرسول (ص)، والإمام (ع) كان يتوقع ذلك منهم، ولكن إرادة علي وربطة جأسه المعروفة المستمدّة من الثقة المطلقة بالله والإيمان الكامل بقدره وقضائه تعالى وقوّة صبر الإمام (ع) على مواجهة المصاعب والأحداث قد حملته على أن يسخر بما يبيتون، حتى إذا طلع هجم القوم على حجرة الرسول (ص) وعلى (ع) فيها وهم يظنون أنه رسول الله (ص) .. فواجههم الإمام (ع) بصلابة إرادته المعهودة :

ما شأنكم؟ قالوا:

أين محمد؟ قال:

أجعلتمني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا، فقد خرج
عنكم !!

هكذا يخاطب الإمام (ع) المتأمرين بمتنه الصبر والأباء
والصرامة ساخراً بأولئك الأوياش.

إنه موقف شجاع تتصاير أمامه إرادة الأبطال من الرجال!

. وبتلك الإرادة بقي الإمام (ع) في مكة بعد هجرة
رسول الله (ص) يواجه مسؤولياته في تنفيذ وصايا الرسول (ص) وأداء
كافة المهام المناطة به.

- وفي يوم هجرته خرج الإمام (ع) جهاراً يقود قافلة المهاجرات
من أهل البيت: فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد وسواهما، فجرت
محاولة من المشركين للحيلولة دون هجرته، ولكن إرادة علي (ع) وقوة
تحمله للعقبات أفشلت المحاولة، فلم يعبأ بالفرسان الثمانية الذين
أرسلوا لاعتراض سبيله، فواجههم بسيفه، وأهوى به على قائدتهم
بضربة قاضية، تحول الرجل بعدها إلى جثة هامدة ينثر بدمه في تلك
الفلة من الأرض، فقر الباقيون مخلفين قائدتهم في الميدان^(١) ..

- وفي دار الهجرة واجه الإمام (ع) مسؤولياته العظيمة كجندي
من جنود الرسالة في الرعيل الأول، فأبدى (ع) من قوة الإرادة ويهضوء
العزيمة والقدرة على مواجهة المصاعب ما يعد مفخرة بـ«جزءاً إنسان
الإسلام بامتداد وجوده التاريخي»، فالإمام (ع) عبر المسار الإيجومية

(١) الإمام علي رجل الإسلام المخلد - عبد المسجد لطيفي ص ٥٣ رائعت الشيعة ج ٣
ق ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

والدفاعية - التي خاضها رسول الله (ص) من أجل نشر الرسالة الإلهية أو حماية وجودها العملي في حياة الناس - كان قطب رحابها الخائض المقدام لغمراتها الذي لا تأخذه في الله لومة لائم من أجل إخمام طغيان الشرك والمشركين وكافة أعداء الرسالة المتربيسين، فما من حرب تسعر وما من معركة تدور رحابها إلا دعي علي (ع) لإخمام فتنتها وتنكيس رايات الجاهلية فيها: في بدر، وأحد والأنحزاب، وحنين، وخيبر.. و..

وفي كثير من المواقف يسود الهلع في معسكر المسلمين، ويستبد الوهن والنكس عن مواجهة العدو، فيعيد سيف علي (ع) الثقة للنفوس ويجدد في معسكر الإيمان روح القدرة على المواجهة وصد العدوان..

الأمر الذي يكشف عما يتمتع به الإمام (ع) من نفس كبيرة تعلو على كل وهن، وتسخر بكل ضعف، وترتفع فوق كل ذلة وهوان.. إنها قوة الإرادة... ومضاء العزيمة وشدة الصبر على المكاراة مقرونة باليقين العميق بالله تعالى، والإستمداد منه والتوكل عليه دون سواه.

وقد تولى الإمام (ع) الخلافة في ظروف صعبة دقيقة على مضض، وبعد محاولات عديدة من الرفض لها من قبله^(١)، وما أن عقدت له البيعة حتى نكث قوم وقط آخرون، ومرق غيرهم، كل ذلك من أجل أن يحال بين الإمام (ع) وبين استئناف المسيرة الإسلامية التي بدأها رسول الله (ص).

ولقد تحمل أمير المؤمنين (ع) ما تحمل من الآلام والمشقات في سبيل إخمام الفتنة السوداء التي أثارها أصحاب المنافع الشخصية

(١) يراجع القسم الثاني من هذا الكتاب.

وأصحاب المصلحة من سياسة الإنحراف، في طريق مسيرته الإصلاحية، فقابل كل ذلك بالصبر الجميل، وبالتسليم لقضاء الله تعالى، حتى رحل إلى ربه الأعلى شهيداً مثقلًا بالمتاعب والآلام.

- وإذا تركنا تلك الأمور جانباً وألقينا نظرة على جوانب أخرى من حياة الإمام (ع) لنحدد موقع الصبر والإرادة الصلبة لما صرخ أن تفوتنا موقف الصبر التي وقفها أمير المؤمنين (ع) حين يفارق أحبته ورفاق الدرب، وأولهم رسول الله (ص) الذي فاضت نفسه الشريفة في حجر الإمام (ع)^(١). وواراه الثرى بنفسه، وعاش مأساة فراقه بكل أبعادها،وها هو يخاطب رسول الله (ص) وهو يلي غسله وتجهيزه بكلمات حزينة تدمي القلب وتزرع الأسى: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء. خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك؟ وعممت حتى صار الناس فيك سواء. ولو لا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، ولا نفذنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء مماطلاً، والممد محالفاً، وقللاً بك، ولكنك ما لا يملك رده، ولا يستطيع دفعه! بأبي أنت وأمي . أذكرا عند ربك ، واجعلنا من بالك»^(٢).

وإذا أعددنا إلى الأذهان ما يحظى به رسول الله (ص) من حب

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٠ ومناقب الخوارزمي عن عائشة.

(٢) نهج البلاغة من كلام له (ع) رقم ٢٣٥ .
أنفذنا: أفيانا.

ماء الشؤون: منابع الدموع.

الداء مماطلاً: مماطلاً بالشفاء.

الممد محالفاً: الحزن ملزماً.

قللاً: محالفة الحزن ومماطلة الشفاء قليلاً لك.

وتعظيم في نفس أمير المؤمنين (ع) لأدركنا حجم الأسى الذي صب على الإمام (ع) بفقدته (ص)، فعلى (ع) قد حظي بتربية الرسول (ص) ورعايته وأعداده ومصاحبه منذ الصبا حتى فارق رسول الله الدنيا.

ولقد كانت تلك التربية وتلك الأخوة بينهما مليئة بضروب الود والحنان والوفاء والإخلاص مما ليس له نظير^(١).

على أن الإمام (ع) التزم جانب الصبر راضياً بقضاء الله المحتوم في رسول الله (ص).

- وفي خضم الأحداث المريرة التي عاشها أمير المؤمنين (ع) في هذه الفترة، ألمت بالزهراء سيدة نساء العالمين العلة التي توفيت على أثرها فلتحت بالراحيل العظيم أبيها حيث كان الإمام (ع) طوال فترة المرض الذي عانت منه فاطمة (ع) يعيش ما تعاني بملء كيانه، فهي وديعة رسول الله (ص) ومدرسة الإمامة التي خرجت قادة الأمة الهداء (ع) وهي الصابرة المحتسبة وهي بعد ذلك زوجة الوفية التي عاشت معه آماله والأمة طوال حياتها معها..

لقد رأى الإمام (ع) زهراء الإسلام، بعد رسول الله (ص)؛ وهي تعيش مرارة الأسى ثم وهي تستسلم لفراش المرض فيشحب لونها، وتتردى أوضاعها الصحية يوماً بعد يوم، ثم يراها وهي تفارق الدنيا، فيباشر تغسلها وتجهيزها ودفنهما عليها السلام، ثم يقف على شفير قبرها مودعاً بعبارات تذيب القلوب الحديدية «السلام عليك يا رسول الله عني، وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسرعة اللحاق بك! قلل يا رسول الله عن صفيتك صيري، ورق عنها تجلدي، إلا أن في التأسي لي بعظيم فرقتك، وفادح مصيتك، موضع تعز، فلقد وسدتك

(١) راجع القسم الأول من هذا الكتاب.

في ملحوقة قبرك، وفاضت بين نحري وصدرني نفسك «إِنَّا لَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة! إما حزني فسمرد وأما ليلى فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستتبئك ابتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكم سلام مودع، ولا قال، ولا ستم، فإن انصرف، فلا عن مللة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين^(١).

فالنتيجة أن الإمام (ع) استسلم لقضاء الله تعالى واستعن على الأسى بجميل الصبر.

وكمًا صبر الإمام (ع) لفقد رسول الله (ص) والصديقه الزهراء (ع)، تجمل بالصبر كذلك لفقد أخوه له في الله، انقطعوا إليه في الوفاء ويدلوا أرواحهم وكل ما يملكون في سبيل رسالة الله تعالى، وقد تصدوا لهم الباطل، وواجهوا الإنحراف، فاستشهدوا في ساحات الجهاد كعمار بن ياسر ومالك بن التيهان، وذى الشهادتين خزيمة بن ثابت الانصاري ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر وسواهم.

وها هو الإمام (ع) يذكرهم قبل اغتياله بأيام في خطبة له جاء فيها ... أين إخوانني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار، وأين ابن التيهان، وأين ذو الشهادتين وأين نظراهم من

(١) نهج البلاغة رقم النص ٢٠١.

التأسي : الإعتبار. هضم : ظلم.

الفادح : المثقل. إحفاء السؤال : الاستقصاء فيه.

التعزي : التصبر. القالي : المبغض.

ملحودة القبر : الجهة المشقوقة. السثم : الضجر.

مسهد : اشتد منه الأرق.

إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برأوسهم إلى الفجرة.

«ثم أطّال البكاء» وقال:

أوه على إخواني الذين تلو القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيو السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه.. «^(١)».

ومن شواهد صبر الإمام (ع) كذلك رفضه للدنيا ولذاتها وتحمله لأذى الجوع، والتقشف وزهده بالمال حتى يبلغ به الحال أحياناً أن يشد حجر المجاعة^(٢)، على بطنه، ولقد رأيت في حديثنا عن زهده وعد الله^(٣) ما يغريك عن تعداد شواهد أخرى من قوة تحمله وإرادته في مواجهة المشقات وعقبات الحياة.

وهكذا عاش الإمام (ع) حياة مليئة بالكدر والألام، زاهرة بالرزايا، حافلة بالمحن، غير أنه واجهها جميعاً بقوة صبره، وعظيم إرادته التي لا تفهر.

(١) نهج البلاغة أواخر خطبة رقم ١٨٢.

أبرد برووسهم: أرسلت رؤوسهم بالبريد إلى الطفاة للتشفى منهم. أوه: كلمة توجع.

٢٢) شرح النهج ج. ١ ص .

(٣) في القسم الثاني والثالث من هذا الكتاب.

في حقل المعرفة

- * صور من فكر الامام
- * مصنفات الامام
- * طرف في مواعظ الامام
- * قبس من حكم الامام

إن محاولة الحديث عن دنيا المعرفة عند علي (ع) مهما أعطيت من التوفيق يستحيل عليها أن تحدد الفكر العلوي العظيم، وتحيط بأبعاد المعرفة التي طرحتها الإمام (ع) في ساحة الفكر الإنساني، وحسبك أن كل مدرسة فكرية ظهرت في دنيا المسلمين، كل منها تدعى انتماءها فكريًا للإمام (ع) حتى وإن كانت مخالفة للواقع والحق، وكأن قولها بالإستمداد من علي (ع) يعطيها صفة الشرعية وحق الحياة، فالأشاعرة نسبوا أنفسهم له، والمعزلة أدعوا الإنتماء إليه، وزعمت مدرسة الرأي في الفقه انتماءها إليه، وذهب المتصوفة إلى أن أمامهم أمير المؤمنين فيما ذهبوا، وسوى هؤلاء كثير^(١).

هذا فضلاً عن حملة مبادئه من الذين التزموا مذهب أهل البيت (ع) الثقل الثاني بعد القرآن الكريم الذي ألزمت الشريعة بالتمسك بهما وسلوك دربهما على لسان رسول الله (ص) «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٢).

فادعاء جميع المدارس الفكرية والفقهية انتماءها للإمام (ع) وانتهالها من بحر علمه مؤشر كبير على عظمة الإمام (ع) وعلو شأنه في دنيا الفكر الإسلامي. الأمر الذي لم يكن لأحد من المسلمين بعد رسول الله (ص) طوال التاريخ الإسلامي.

فعلي (ع) قد تنازعته كل الحركات الفكرية والفقهية التي ولدت

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٧ وما بعدها ط ١، ١٩٥٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) روى هذا الحديث باختلاف يسير في اللفظ: مسلم في الصحيح، والحاكم في مستدرك الصحيحين وأحمد بن حنبل في: مسندة، والمتفق في كنز العمال، وغيرهم.

في تاريخ المسلمين، بل قال بالإتساب إليه أصحاب النشاطات الفكرية والثقافية والعلمية من نحوين وأهل القراءات وعلماء التفسير وأهل الحديث والفقه وسواهم على أن الإتساب لعلي (ع) في الحقل المعرفي أو ادعاء الإتساب إليه لم يأت عفواً أبداً، وإنما هو شاهد قوي على أن علياً (ع) لم يترك حقالاً من حقول المعرفة الصحيحة إلا ووضع أسسه وحدد معالمه وترك الباب مفتوحاً لرواد المعرفة أن يتنهلوا منه.

ولم يكن العطاء الفكري العظيم الذي أسداه الإمام (ع) للإنسان إلا حصيلة طبيعية للأعداد الخاص الذي توفر للإمام (ع) من لدن رسول الله (ص) منذ طفولة الإمام (ع) حتى آخر ساعة من حياة الرسول (ص). الأمر الذي تسالم المؤرخون على حقيقة وقوعه.

ولقد أشار الإمام (ع) ذاته إلى ذلك الأعداد الذي وفره له رسول الله (ص) وكشف عن أهميته وأبعاده في حياة الإمام (ع) بقوله «... وقد علمت موضعـي من رسول الله صلى الله عليه وآلـه بالـقـرـابـة القرـيبةـ، والـمنـزـلـةـ الـخـصـيـصـةـ، وـضـعـنـيـ فـيـ حـجـرـهـ، وـأـنـاـ وـلـدـ، يـضـمـنـيـ إـلـىـ صـدـرـهـ، وـيـكـنـفـيـ فـيـ فـرـاشـهـ: وـيـمـسـنـيـ جـسـدـهـ، وـيـشـمـنـيـ عـرـفـهـ، وـكـانـ يـمـضـغـ الشـيـءـ ثـمـ يـلـقـمـنـيـ، وـمـاـ وـجـدـ لـيـ كـذـبـةـ فـيـ قـوـلـ، وـلـاـ خـطـلـةـ فـيـ فـعـلـ... ولـقـدـ كـنـتـ أـتـبـعـهـ أـتـبـاعـ الـفـصـيـلـ أـثـرـ أـمـهـ، يـرـفـعـ لـيـ فـيـ كـلـ يـوـمـ مـنـ أـخـلـاقـهـ عـلـمـاـ، وـيـأـمـنـيـ بـالـإـقـنـدـاءـ بـهـ، وـلـقـدـ كـانـ يـجـاـوـرـ فـيـ كـلـ سـنـةـ بـحـرـاءـ، فـأـرـاهـ، وـلـاـ يـرـاهـ غـيـرـيـ، وـلـمـ يـجـمـعـ بـيـتـ وـاحـدـ يـوـمـشـدـ فـيـ إـلـاسـلـامـ غـيـرـ رـسـوـلـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـخـدـيـجـةـ، وـأـنـاـ ثـالـثـهـماـ، أـرـىـ نـورـ الـوـحـيـ وـالـرـسـالـةـ، وـأـشـمـ رـيـحـ النـبـوـةـ»^(١).

(١) نهج البلاغة الخطبة القاسعة. رقم ١٩٢.

ولاستمرارية ذلك الأعداد الخاص لعلي (ع) يشير أبو سعيد الخدري (رض) بقوله «كانت لعلي من رسول الله (ص) دخلة لم تكن لأحد من الناس»^(١).

وعن ابن عباس «رض» عن علي (ع) قال:
«كان لي من النبي (ص) مدخلان: مدخل بالليل ومدخل بالنهار»^(٢).

ولقد كان ذلك الأعداد الرسولي منصبًا على جميع جوانب شخصية الإمام (ع) من أجل تأهيله فكريًا ونفسياً لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الإسلامية بعد غياب رسول الله (ص) عن مسرح الحياة..

وحيث أن حديثنا هذا يهدف إلى دراسة العطاء الفكري الشّر الذي طرحه الإمام (ع) في الساحة الإنسانية فلا بد منأن نشير إلى أن رسول الله (ص) حين أكمل بناء الجانب الفكري من شخصية الإمام (ع) وأهله لخلافته في هذا المضمار، أخذ (ص) يبلغ الأمة بحقيقة ما وصل إليه الإمام (ع) من مستوى عظيم في ميدان المعرفة:
قال (ص):

- «إنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه»^(٣).

(١) أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٨ - البلاذري.

(٢) خصائص الإمام علي بن أبي طالب للستاني ص ٤٩.

(٣) أخرجه الترمذى في صحيحه وأحمد بن حنبل والحاكم في المستدرك والحافظ أبو محمد السعوقندي في بحر الأسانيد وابن جير في تهذيب الأثار والأربلي في كشف الغمة نقلًا عن فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للحافظ أحمد بن محمد الصديق الفماري ط ٢، ١٩٩٦.

- «علي باب علمي ومبين لأمتى ما أرسلت به»^(١).
وعن ابن مسعود قال: كنت عند النبي (ص) فسئل عن علم
علي (ع)?
فقال:

- «قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء
والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعشر الباقي»^(٢).

وهناك أحاديث شريفة بهذا الشأن لا تكاد تحصى كثرة، وهي
تهدف جميعاً إلى بيان المكانة التي يحتلها الإمام (ع) في الجانب
المعرفية، وتدعو الأمة صراحة إلى وجوبأخذ معارف التشريع الإلهي
عن طريقه^(٣)، فمنه تستمد الهدى، وهو الصراط المستقيم المؤصل
إلى الله تعالى بعد رسول الله (ص).

ولقد أدرك الكثير من معاصر الإمام (ع) ما يحظى به
الإمام (ع) من علو شاهق في مجالات المعرفة بشتى حقولها وجوانبها،
وما يتبوأه من مقام رفيع في ركب الإسلام الخالد:

فها هو ابن عباس (رض) يقول:

- أعطي علي بن أبي طالب تسعة ألعشار العلم، وأنه لأعلمهم
بالعشر الباقي^(٤).

(١) أبو نعيم في حلية الأولياء والديلمي في فردوس الأخبار وغيرهما نقلأً عن مقام أمير المؤمنين ط الأعلمي ص ٧.

(٢) أخرجه الخوارزمي وابن المغازلي الشافعي والمناقب ج ٢ ص ٣٠.

(٣) راجع مناقب آل أبي طالب ج ١ فصل في المسابقة بالعلم، والبحار ج ٤١ باب ٩٣
وفضائل الخمسة من الصحاح الستة وغيرها.

(٤) بحار الأنوار ج ٤٠ باب ٩٣ عن النقاش في تفسيره، ومناقب آل أبي طالب ج ١
فصل المسابقة في العلم.

وعطاء بن أبي رباح يقول - حين سئل هل تعلم أحداً بعده
رسول الله (ص) أعلم من علي ..
- لا والله ما أعلم.

وعمر بن الخطاب يقول :

- العلم ستة أسداس، لعلي من ذلك خمسة أسداس وللناس
سدس، ولقد شاركنا في السادس حتى فهو أعلم به منا^(١).

ولكم كان الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً يرجعون إليه في مسائل
القضاء والحكم والإدارة، حتى أن عمر ابن الخطاب كان يردد «لا
أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن» أو يقول «أعوذ بالله من معضلة
لا علي لها»^(٢).

وعائشة تقول:

- علي أعلم الناس بالسنة^(٣).

وغير هؤلاء كثير ..

على أن أمير المؤمنين (ع) قد أفصح مراراً وفي مناسبات شتى
عما يحمل من علم شامل غزير.

فتراه يخاطب أصحابه بأن صدره يحمل علماً عظيماً تلقاه من
رسول الله (ص) ولو وجد له حملة أمناء يتصدرون لحمله وتبلیغه لأودع
بعض علمه لديهم :

- «إن في صدري هذا لعلماً جماً، علمنيه رسول الله (ص) ولو

(١) و (٢) راجع فصل في عهد الخلفاء في الحلقة الأولى من دراستنا عن أمير
المؤمنين (ع).

(٣) البخاري ٤٠ باب ٩٣ عن كشف الغمة.

أجد له حفظة يرعونه حق ورعايته ويروونه عني كما يسمعونه مني ، إذا
لأودعهم بعضه .. «^(١)».

ثم يكشف في مناسبة أخرى عن حجم ذلك العلم الذي يحمل
ويبيّن أبعاده ومساحته :

فعن ابن نباتة قال :

- لما بُويع أمير المؤمنين (ع) بالخلافة خرج إلى المسجد معتمداً
بعمامة رسول الله (ص) لابساً بردته فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى
عليه، ووعظ، وأنذر، ثم جلس متancockاً، وشبك بين أصابعه، ووضعها
أسفل سرته ثم قال :

- يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني فإن عندي
علم الأولين والآخرين ، أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل
التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور
بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقائهم ، حتى ينهي كل كتاب من هذه
الكتب ويقول : يا رب إن علياً قضى بقضائك ، والله إني لأعلم بالقرآن
وتأويله من كل مدع علمه ، .. ثم قال .. سلوني قبل أن تفقدوني ،
فوالذي فلق الحبة وبراً النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت
نزوتها ، وفيما نزلت ، وأنبأكم بناسخها ومنسوخها ، وخاصتها من عامها ،
ومحكمها من متشابهها ، ومكيها من مدنيها والله ما من فئة تضل أو
تهدي إلا وأنا أعرف قائدتها وسائقها وناعقها «^(٢)».

«سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ، سلوني عن
كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنها أم في

(١) المرجع السابق باب ٩٣ نقلًا عن الخصال .

(٢) البحارج ٤٠ باب ٩٣ ويشبه في الإرشاد للشيخ المفيد ص ١٩١ .

سهل أم في جبل»^(١).

ولو قدر أن علياً (ع) لم يتمن له أن يساهم بما ساهم به من علم جم - الأمر الذي ستناول خطوطه العريضة في هذا الفصل - في المجالات الفكرية فإن نداءاته الملحة في مناسبة وأخرى: سلوني قبل أن تفقدوني : آية جلية على قدراته الفائقة في حقول المعرفة بشتى خصرويها وامتدادتها.

ولو قدر كذلك أن الرسول (ص) لم يكشف عما لعلي (ع) من سابقة في العلم وعلو شاهق في المعرفة، لكان إصرار علي (ع) على دعوة الناس بتلقي العلوم منه شاهداً قوياً لا يرد على ما له (ع) من علم غزير، فإن ثقتة العالية بنفسه في مضمار العلم هي التي تدفعه لتكرار ذلك النداء الفريد، الذي ما حدثنا التاريخ أن رجلاً قد عليه قبل علي (ع) خوف الفضيحة والنكوص عن الإجابة!

ولقد تنبه الكثير من أصحاب العقول إلى ما ينطوي عليه ذلك النداء العلوي : سلوني ، من أهمية بالغة، فقد قال سعيد ابن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب»^(٢).

وعن ابن شبرمة يقول: «ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر سلوني إلا علي بن أبي طالب»^(٣).

فالنداء المذكور بكثرة إلحاحه وحرارته يحمل بين ثنياه ما حواه الإمام (ع) من علم شمولي يمد الإنسان بالغنى والخير والهدى والسداد.

(١) أعيان الشيعة ج ٣. ق ١ ص ٦٣ عن الاستيعاب ومثلها في الإصابة والإتقان وحلية الأولياء وفي صحيح مسلم ج ٦.

(٢) نفس المصدر عن غرر الحكم للأمدي.

(٣) نفس المصدر عن نهج البلاغة.

من أبعاد المعرفة

بمقدورنا بعد إيراد التوطئة المتعلقة بالحقل المعرفي عند أمير المؤمنين أن نقول أن تصوراً قد تكامل لدينا حول عمق المعرفة وشمولها عند الإمام (ع) فهو وريث رسول الله (ص) والمبين للأمة ما بعث به، ومرجعها في كل تساؤلاتها الفكرية الملحة كل ذلك حصيلة لإعداد مسبق من لدن رسول الله (ص) أشرنا لبعض مصاديقه فيما مضى من حديث.

بقي أن نشير في هذا الفصل إلى أبعاد المعرفة التي أسداها الإمام (ع) للإنسان: المسلم منه وغير المسلم.

ففكر علي (ع) وإن كان رسالياً هادفاً إلى خدمة الرسالة الإلهية وحملتها وعملاً على دفع عجلة مسيرة الإسلام التاريخية إلى الإمام، فإنه يبقى منهاً عذباً لتصيب منه الإنسانية بشتى نحلها واتجاهاتها الفكرية، وهو كفيل بهدايتها إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

و قبل أن نطرح الخطوط العامة للجانب المعرفي عند الإمام (ع) جدير بنا أن نشير إلى أنه (ع) بالرغم مما طرحته في دنيا الفكر الإنساني من أبواب المعرفة المتعددة، فإننا نظل عند قناعتنا من أن

الإمام (ع) لم تسعفه الظروف الإجتماعية والسياسية على حد سواء أن يسدي للإنسان بالكثير مما عنده من معرفة.

فإذا أهملنا أثر الظروف السياسية التي ألمت بالإمام (ع) ومنعته من أداء مهماته على الشكل المرجو من أجل مصلحة الرسالة والإنسان ، - فإن الظروف الإجتماعية لا تقل خطراً عن تلك الظروف ، فالمجتمع الذي عاشه الإمام (ع) لم يكن في مستوى من ناحية الوعي قادرأ على إدراك الإمام وأهميته ودوره الرسالي الخطير في حياة الناس ، ولعل أبلغ شاهد على ذلك ما كان يواجهه الإمام (ع) من تساؤلات فجة واعتراضات تافهة حين يدعو قومه للإفادة مما يحمل من علم جم تلقاه من رسول الله (ص).

ونذكر بهذا الصدد بعض تلك المواقف التي تقطر سخفاً وبلادة : - فقد خاطب الناس مرة بقوله : سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلا نباتكم بناعقها ، وساقتها ، ولو شئت لأنخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه :

فقام إليه سنان بن أنس النخعي قائلاً :

أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر^(١) !!

- وبينما كان الإمام (ع) يوماً يحدث قومه عن بعض حوادث المستقبل كبير على أعشى بأهله - عامر بن الحارث - ما تحدث به الإمام (ع) فقال له :

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٨٦ - ونفس الرواية في البحار / ٤٠ باب ٩٣ ص ١٩٢ ولكن يروي أن الرجل كان تميم بن أسامة التميمي .

يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة^(١).

هذه بعض المواقف التي اتخاذها البعض من الناس الذين عاصروا الإمام (ع) فأضاعوا أنفسهم فرصة مرت بالأمة بعد رسول الله (ص).

وبالرغم من ذلك كله فإننا ينبغي إلا نغفل ما كان ينطوي المجتمع عليه من طلاب المعرفة من أجل الوصول إلى الهدى والخير.

وكانت تلك الفئة واعية لحقيقة الإمام (ع) مؤمنة بقدرته الفائقة على طرح شتى أنواع الفكر الإسلامي في العقائد والتشريع وفي مختلف أبواب المعرفة الضرورية لمисيرة الإنسانية.

وقد قابل أمير المؤمنين (ع) أولي الألباب بنفس الثقة التي ألوه الله، فخصصهم بالكثير من ألوان الأعداد والتوجيه والتشقيق ليواصل المسيرة التي بدأها رسول الله (ص) والتي خط الإمام عبر التاريخ الإسلامي ابتداء بعلي (ع) وانتهاء بأبي القاسم الإمام المهدي (ع). وقد بلغ بالإمام (ع) أن يكشف الكثير من أسرار المعرفة لأولئك المتقيين الأفذاذ من الرجال^(٢).

وقد تعاهد الإمام (ع) أمر أعداد الحملة الحقيقيين للرسالة الإلهية من بدأ الرسول (ص) عملية أعدادهم أو غيرهم ..

على أن الذي توفر للإمام (ع) طرحه من أراء ومبادئ وحكم ومفاهيم في ساحة الفكر الإنساني كفيل ببعضه دون جمیعه لإبراز عظمة الإمام (ع) وقدراته العلمية الفائقة.

وها نحن أولاً، نطرح صوراً من المعرفة عند الإمام (ع):

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٨٦ وما بعدها.

طور من الفكر الهاشمي

للإمام (ع) باع طويلا في طرح الصيغ المحددة للعقائد الإسلامية من خلال ما طرحته من خطب ورسائل ومواعظ ومناقشات.

والباحث فيما خلفه الإمام العظيم (ع) من ثروة فكرية يتجلّى له بعمق أن أمير المؤمنين (ع) قد أعطى للعقيدة الإسلامية ركائزها الأساسية على وجه الخصوص الكثير من الإهتمام والعناية، وأغلق الباب بوجه أي شذوذ وانحراف وعدول عن مضامينها الحقيقية بأسلوب واضح وجلي لا يمكن صرفه أو تأويله لأي معنى آخر غير ما أراده الإمام (ع). فالله تعالى وأسماؤه الحسنى وصفاته ذاته وصفات أفعاله، والرسالة والنبوة والوحي، والملائكة والإمامية والقضاء والقدر، والبعث والنشور وفلسفة الدنيا والجنة والحساب وسوها من أسس العقيدة الإسلامية قد طرحتها الإمام (ع) في صيغ محددة نابضة بقوة الحجة والبرهان والوضوح.

ولو قدر للأمة المسلمة بجميع فرقها أن تنهل من المنهل العذب الرقراق الذي فجره علي (ع) في دنيا الفكر الإسلامي، لاجتمع الكلمة وتوحد الصف والهدف، وما شهدت دنيا المسلمين أي لون من

ألوان الشطحات والإنحرافات المضلة التي جنح إليها رهط من أتباع المدارس الفكرية عند المسلمين.

ويقدر ما تسمح به محاوالتنا لدراسة الخطوط العامة لما خلفه لنا الإمام أمير المؤمنين (ع) من ثروة فكرية سنعرض نماذج من الفكر العقائدي الذي زين الإمام (ع) بها صفحات الفكر الإنساني بشكل عام:

وحدانية الله عز وجل:

«الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت محدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه»^(١).

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيد الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه، فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال «فيم» فقد ضمنه، ومن قال «علام؟» فقد أخلى منه.
كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم.

(١) فطر الخلائق: ابتدعها على غير مثال سابق.

(٢) وتد: شبت.

(٣) الميدان: التحرك بالتمايل.

مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاء، وابتداه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدهما، ولا همامنة نفس اضطراب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مخلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباهها، عالماً بها قبل ابتدائهما، محيطاً بحدودها وانتهاياتها، عارفاً بقرائنها وأحنانها...»^(١).

«الأول لا شيء قبله، والآخر لا غاية له، ولا تقع الأوهام له على صفة، ولا تقع القلوب منه على كيفية، ولا تناله التجزئة والتبغى، ولا تحيط به الأ بصار والقلوب...»^(٢).

«لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل

(١) نهج البلاغة رقم الخطبة ١.

لا عن حدث: لا عن إيجاد موحد.

المزايلة: المفارقة والإختلاف.

الروية: التفكير.

أجال: رد أو أدار.

همامنة: اهتمام الأمر وانشغال بالـ.

لام: قرن.

غرز الغرائز: أودع فيها الطياع.

قرائن: جمع قرونـ وهي النفس.

الإحناء: الجوانب.

لا تقع القلوب منه على كيفية: أي ليست له كيفية فتحكم بها.

(١) نفس المصدر رقم ٨٥.

ظهر للتعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، والقضاء المبرم»^(١):

«الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو أنس، لا يدرك بوهم، ولا يقدر بفهم، ولا يشغل سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحد بأين، ولا يوصف بالأزواج ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس»^(٢).

هكذا حدد أمير المؤمنين (ع) مفهوم وحدانية الله سبحانه وتعالى، وهكذا عرف علي (ع) الله رب العالمين، ووصفه كما أراد الله تعالى أن يوصف به، فقد نزهه عن التشبيه والتجميم والمكان والتجزئة والتبعيض وكل نقص، وأخرجه بوصفه عن كل صفة من صفات مخلوقاته، كما شاء الله تعالى أن يوصف، وكما علم أولياءه أن ينتبهوا.

الرسالة والنبوة:

وكما حدد الإمام أبعاد التوحيد وحقيقةه، أعطى (ع) التحديد الموضوعي الشامل للنبوة والرسالة مبيناً فلسفتها وأهدافها، وموضحاً أن اللطف الإلهي بالعباد اقتضى إرسال الأنبياء (ع) إلى الناس ليأخذوا بأيديهم إلى حيث الهدى والرشاد وسبيل الحق، بعد أن تنكروا لعهده الله إليهم، وخرجوا عن مقتضى الفطرة التي فطّرهم الله عليها قال (ع):

(٢) نهج البلاغة رقم ١٨٢.

يتناوره: تطرأ عليه الزيادة والنقصان.

(٣) نفس المصدر والمخطبة.

وهم: تفكير وتوهم.

النائل: العطاء.

أين: إشارة للمكان.

«وَاصْطُفْنِي سَبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ - مِنْ وَلَدِ آدَمَ - أَنْبِيَاءً أَخْذَ عَلَى
الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَلَ أَكْثَرُ خَلْقَهُ عَهْدَ
اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْإِنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالُوهُمُ الشَّيَاطِينُ
عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعُوهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَّرَ إِلَيْهِمْ
أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فَطْرَتِهِ، وَيَذْكُرُوهُمْ مِنْيَ نَعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُوا
عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُشَرِّرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرَوِّهُمُ الْآيَاتُ الْمُقْدَرَةُ:
مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعَ، وَمَهَادٌ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٌ، وَمَعَايِشٌ تَحْيِيهِمْ،
وَآجَالٌ تَفْنِيهِمْ، وَأَوْصَا تَهْرِمَهُمْ، وَأَحَدَاثٌ تَتَابِعُهُمْ، وَلَمْ يَخْلُ اللَّهُ
سَبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مَرْسُولٍ، أَوْ كِتَابٍ مِنْزَلٍ، أَوْ حِجَةٍ لَازِمَةً^(۱) أَوْ
مَحْجَةٍ قَائِمَةً. رَسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قَلَةٌ عَدُدُهُمْ، وَلَا كُثْرَةُ الْمَكْذُوبِينَ
لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ سَمِيَّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ غَابِرٍ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلِهِ: عَلَى ذَلِكَ
نَسْلَتِ الْقَرْوَنَ، وَمَضَتِ الْدَّهُورُ: وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ.

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ لِإِنْجَازِ عَدْتِهِ، وَإِتَامِ نِبْوَتِهِ، مَا خَوْذَا عَلَى النَّبِيِّينَ، مِيشَاقَهُ،
مَشْهُورَةُ سَمَاتِهِ، كَرِيمًا مِيلَادِهِ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مُلْلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ
مُتَشَّرِّةٌ، وَطَرَائِقٌ مُتَشَتَّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلَحدٍ فِي إِسْمِهِ، أَوْ
مُشَيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالِةِ، وَأَنْقَذُهُمْ بِمَكَانَةِ مِنَ
الْجَهَالَةِ . . .»^(۲).

(۱) الميثاق: العهد.

الْإِنْدَادُ: الْأَمْثَالُ وَهُمُ الْمُعْبُودُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

اجْتَالُوهُمْ: أَبْعَدُهُمْ عَنْ هُدُوفِهِمْ.

وَاتَّرُ: جَعَلَ بَيْنَ كُلِّ نَبِيٍّ وَآخِرٍ فَتَرَةً.

لِيَسْتَأْدُوهُمْ: لِيَطْلُبُوا الْأَدَاءَ مِنْهُمْ.

وَصَبُّ: تَعْبُ.

(۲) نهج البلاغة رقم النص ۱ «باب الخطب».

«بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لثلا تجب الحجة لهم بترك الأعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق . . .»^(١).

«فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآلـه بالحق ليخرج عباده من عبادة الأولان إلى عبادته ، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته ، بقرآن قد بينه وأحكمه ، ليعلم العباد ربـهم إذ جهلوه ، وليرقروا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه ، فتجلـى لهم سبحانه في كتابـه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرـته ، وخوفـهم من سطـوـته وكيف مـحقـ من مـحقـ بالـمـثلـات ، واحتـصـدـ من اـحتـصـدـ بالـنـقـمات . . .»^(٢).

خط الامامة في دنيا الاسلام:

ويجيـي الإمامـ (عـ) حـقـيقـة خطـ الـإـمامـة وـضـرـورـتـهـ فيـ دـنـيـاـ الـمـسـلـمـينـ وـيـحدـدـ مـرـاميـ الـأـئـمـةـ (عـ) وـيـرـشـدـ الـأـمـةـ الـمـسـلـمـةـ إـلـيـهـمـ باـعـتـارـهـمـ الـإـمـتـدـادـ الـحـقـيقـيـ للـرـسـالـةـ ،ـ وـالـحـمـلـةـ الـحـقـيقـيـنـ لـرـسـالـةـ اللـهـ تـعـالـىـ وـهـدـيـهـ لـلـعـالـمـيـنـ بـعـدـ رـسـولـهـ (صـ)ـ ،ـ بـهـمـ يـقـامـ الـحـقـ وـتـحـمـيـ الشـرـيـعـةـ وـيـصـانـ الـدـيـنـ ،ـ وـتـحـفـظـ كـلـمـةـ اللـهـ تـعـالـىـ .ـ وـتـبـلـغـ الـأـمـةـ الـهـدـىـ وـالـخـيـرـ ،ـ وـبـسـوـاهـمـ يـكـونـ الـضـلـالـ وـالـإـنـحرـافـ وـالـضـيـاعـ يـقـولـ (عـ)ـ .ـ

نـسـلـتـ الـقـرـونـ :ـ تـابـعـتـ .ـ =

الـمـحـجـةـ :ـ الـطـرـيقـ الـوـاضـحـةـ الـمـسـتـقـيمـةـ .ـ

انـجـازـ عـدـتـهـ :ـ وـعـدـهـ اللـهـ تـعـالـىـ بـإـرـسـالـ مـحـمـدـ (صـ)ـ .ـ

الـسـمـاتـ :ـ الـعـلـامـاتـ الـتـيـ بـشـرـ بـهـاـ النـبـيـونـ السـابـقـوـنـ لـرـسـولـ اللـهـ مـحـمـدـ (صـ)ـ .ـ

مـلـحـدـ فـيـ إـسـمـ اللـهـ :ـ يـخـرـجـ بـهـ عنـ حـقـيقـةـ مـسـمـاهـ .ـ

(١) نفسـ المـصـدـرـ نـصـ ١٤٤ـ .ـ

(٢) نفسـ المـصـدـرـ رقمـ ١٤٧ـ .ـ

تجـلـىـ :ـ ظـهـرـ بـآـيـاتـ لـاـ بـرـؤـيـتـهـ الـمـباـشـرـةـ .ـ

المـثـلـاثـ :ـ الـعـقـوبـيـاتـ .ـ

- «.. لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآلـه من هذه الأمة أحد ولا يسوـي بهم من جرـت نعمـتهم عـلـيـه أبـداً: هـم أـسـاسـ الدـينـ، وـعـمـادـ الـيـقـيـنـ، إـلـيـهـمـ يـفـيـءـ الـغـالـيـ، وـبـهـمـ يـلـحـقـ التـالـيـ، وـلـهـمـ خـصـائـصـ حـقـ الـوـلـاـيـةـ، وـفـيـهـمـ الـوـصـيـةـ وـالـورـاثـةـ، الـآنـ إـذـ رـجـعـ الـحـقـ إـلـىـ أـهـلـهـ، وـنـقـلـ إـلـىـ مـنـقـلـهـ»^(١).

«إنـ الأـئـمـةـ مـنـ قـرـيـشـ غـرـسـواـ فـيـ هـذـاـ الـبـطـنـ مـنـ هـاشـمـ، لـاـ تـصـلـحـ عـلـىـ سـوـاهـمـ، وـلـاـ تـصـلـحـ الـوـلـاـةـ فـيـ غـيرـهـ»^(٢).

وبـعـدـ هـذـاـ التـحـدـيدـ الدـقـيقـ لـلـإـلـامـةـ وـلـلـأـئـمـةـ، يـحـذـرـ(عـ) مـنـ مـغـبةـ نـكـرـانـ الـأـئـمـةـ وـالـتـنـكـرـ لـهـمـ «.. إـنـمـاـ الـأـئـمـةـ قـوـامـ اللـهـ عـلـىـ خـلـقـهـ وـعـرـفـاؤـهـ عـلـىـ عـبـادـهـ، وـلـاـ يـدـخـلـ الـجـنـةـ إـلـاـ مـنـ عـرـفـهـمـ وـعـرـفـوهـ، وـلـاـ يـدـخـلـ النـارـ إـلـاـ مـنـ أـنـكـرـهـمـ وـأـنـكـرـوهـ..»^(٣).

ويـحـذـرـ مـنـ مـغـبةـ نـكـرـانـهـمـ فـيـ مـسـيـرـةـ الـحـيـاةـ إـلـاسـلـامـيـةـ حـيـثـ يـوـضـعـ بـكـلـ جـلـاءـ أـنـ الـحـقـ لـاـ يـحـصـلـ بـسـوـاهـمـ وـأـنـ الـهـدـىـ لـاـ وـجـودـ لـهـ إـلـاـ بـمـتـابـعـتـهـمـ «فـأـيـنـ تـذـهـبـونـ، وـأـنـيـ تـؤـفـكـونـ، وـالـأـعـلـامـ قـائـمـةـ، وـالـآـيـاتـ وـاضـحةـ، وـالـمـنـارـ مـنـصـوـبـةـ، فـأـيـنـ يـتـاهـ بـكـمـ، وـكـيـفـ تـعـمـهـوـنـ، وـبـيـنـكـمـ عـتـرـةـ نـبـيـكـمـ، وـهـمـ أـزـمـةـ الـحـقـ، وـأـعـلـامـ الـدـينـ، وـأـلـسـنـةـ الـصـدـقـ، فـأـنـزـلـوـهـمـ بـأـحـسـنـ مـنـازـلـ الـقـرـآنـ وـرـدـوـهـمـ وـرـدـوـدـ إـلـيـهـمـ الـعـطـاشـ..»^(٤)

(١) خطبة رقم ٢ من نهج البلاغة.

الغالـيـ: المـغـالـيـ المـبـالـغـ الـذـيـ يـتـجاـوزـ الـحدـ فـيـ الإـفـراـطـ.

(٢) نفس المصدر رقم ١٤٤.

(٣) نفس المصدر رقم ١٥٢.

(٤) نهج البلاغة رقم النص ٨٧.

تـؤـفـكـونـ: تـصـرـفـونـ عـنـ الـحـقـ.

الـمـنـارـ: جـمـعـ مـنـارـةـ.

ثم يشير الإمام (ع) إلى أن خط الإمامة مصاحب لمسيرة الأمة، وأرض الله لا تخلو من حجة من آل محمد (ص) يحمل الهدى للناس:

«إِلَّا أَنْ مِثْلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمْثُلَ نَجْوَمِ السَّمَاوَاتِ إِذْ حَوَى نَجْمًا طَلَعَ نَجْمًا، فَكَانُوكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِمُ الصَّنَائِعُ وَأَرَاكُمْ مَا كَنْتُمْ تَأْمَلُونَ»^(١).

ونكتفي بهذه النماذج من الفكر العقائدي الذي طرحته الإمام (ع) في ساحة الفكر الإسلامي، ومن شاء الإستزادة فدونه نهج البلاغة فإنه ينبع لا ينضب يمد المتتبع بشتى ضروب المعرفة في مضمون العقيدة وسواها.

= ينالكم: الحيرة والضلال.

تعمهون: تحریرون.

العترة: النسل.

ردوهم ورود إليهم العطاش: هلموا إلى بیحار علومهم مسرعين كإسراع الإبل
العطاش إلى الماء.

(١) نفس المصدر رقم ١٠٠.

خوی نجم: غاب.

طور من الفكر السياسي - الاجتماعي

بالرغم من قصر المدة التي قضتها أمير المؤمنين (ع) في قيادة الأمة إجتماعياً وسياسياً فإن الفكر السياسي الذي طرحته الإمام (ع) كفيل بتغطية حاجات الإنسان عبر امتداده التاريخي على هذه الأرض، فقد جاءت خطب الإمام (ع) ورسائله وأوامره وإرشاداته زاخرة بهذا اللون من الفكر، مجسداً أروع أطروحة وأنضجها لإدارة شؤون الحياة الإنسانية.

ففي الحقل الاقتصادي طرح الإمام (ع) نظاماً متكاملاً لعلاج المشكلة الاقتصادية، وظاهرة الإنحراف عن خط العدالة الإسلامية في التوزيع، وحدد برامج واضحة لتجاوز الأخطاء المتراكمة في مسألة توزيع المال بين الناس من خلال منهج التسوية في العطاء.

ولم يلتمس الإمام (ع) المواقف الوعظية في علاج المشكلة الاقتصادية، وإنما سلك إلى جانب مخاطبة الضمائر والإستفادة من رصيد الإيمان بالله فيها، سلك سبيل استخدام الضوابط القانونية في تحقيق التوازن والعيش الرغيد، وإنماء دور الظلم في المجتمع ومن أجل ذلك استرد الأموال التي تدفقت

على جيوب فئة من الناس من غير حق، وسلك سبيل مراقبة طرق جباية الأموال، وكيفية توزيعها على قطاعات الأمة، كما شدد على مراقبة ولاته في الأمصار، واستحدث نظام المراقبة والتفتيش ليحيط علماً بتصرفاتهم وممارساتهم ومن هنا تجد الكثير من النصوص التي يوجه فيها الإمام (ع) والياً أو جابياً للمال باتجاه الطريقة المثلثة في عمله المناط به، كما نجد نصوصاً يوينغ فيها الإمام (ع) ذلك الوالي أو يستدعيه للحساب أو يعزله عن منصبه لخيانة الأمانة التي أننيطت به^(١).

وكما وضح الإمام (ع) مناهجه القوية المجلدة لشرع الله تعالى في المال، كذلك فعل بالنسبة للإدارة وشؤون القيادة الأخرى في المجتمع، فبالرغم من كثرة النصوص، التي حفظها لنا نهج البلاغة وكتب السيرة الأخرى التي يحدد (ع) فيها مسؤولية الولاة والعمال على البلدان، وما ينبغي أن يتزموا به في حياتها العملية، يطرح الإمام (ع) المواقف الواجب توفرها في شخصية الحاكم المسلم سواء أكان حاكماً عاماً للأمة أو حاكماً محلياً، ونكتفي هنا بذكر بعض من هديه بهذا الصدد.

«و.. وقد علمتهم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم، والأحكام، وإمامة المسلمين: البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطفهم بجهفائه، ولا الحائز للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»^(٢).

(١) راجع الحلقة الثانية من هذا الكتاب (الفصل الأول) لملاحظة النصوص بهذا الصدد.

(٢) نهج البلاغة رقم ١٢٩.

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، ول يكن تأدبه بسيرته قبل تأدبه بسانه، ومعلم نفسه ومؤدبه أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدفهم»^(١).

«لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع، ولا يتبع المطامع».

وإذا شئنا الرجوع إلى أوسع نص لتحديد مواصفات الحاكم المسلم، ففي عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر حين ولاد على مصر فإن فيه غنى عن طرح أي دليل آخر، حيث اشتمل العهد المذكور على كل مستلزم القيادة الصالحة، وما ينبغي أن تنهض به من مسؤوليات في حياة الأمة على الصعيد الاجتماعي، والسياسي والإقتصادي، وسوى ذلك من شؤون.

كما حدد العهد بعمق واع كل ما يتطلبه المجتمع وما ينبغي للحاكم المسلم النهوض به عبر مسؤولياته القيادية كي يستجيب لطموحات الأمة التي يدير دفة حياتها^(٢).

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن عهد الإمام (ع) إلى الأشتر قد انطوى على أفكار اجتماعية غاية في الأهمية، فقد تناول الإمام (ع)

= النهمة: المبالغة في الحرص وشدة الشهوة.

الحائف: الظالم.

المقاطع: حدود الله.

الدول: المال.

والمراد بالحائف بالدول: الظالم في توزيع المال حيث يفضل قوماً على قوم في العطاء.

(١) نفس المصدر رقم ٧٣ في باب المختار من كلامه (ع).

(٢) يراجع عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر واليه على مصر في نهج البلاغة رقم ٥٣ في باب الكتب.

تركيبة المجتمع، والقوى المؤثرة، والقطاعات الضرورية فيه تناول خبير ملم بها، فقد درس الإمام (ع) أهمية القطاع الزراعي وأثر التجار والقضاة والولاة والجنود في مسيرة المجتمع وبناء الحضارة، وحدد كيفية التعامل مع تلك القوى الهامة في المجتمع، وحدد مسؤوليات السلطة العليا تجاه كل واحدة من تلك القوى الفاعلة في الحياة العامة، كما ذكر القطاعات الضعفية من أهل اليتيم والشيخوخة وسواهم مما يعتبر وجودهم طبيعياً في المجتمعات، فدرس حالهم وحدد العلاج لما يعانون^(١)!

هذا وقد سبق الإمام (ع) علم الاجتماع في دراسته للمجتمع وتحديد المؤثرات فيه بزمن طويل، مما يستحق أن يحمل بجدارة لقب مؤسس علم الاجتماع الواضح للبنائه الأولى، مع اختلاف على الرؤية والمنهج.

(١) نفس المصدر

مصنفات الإمام (ع) وأعماله العلمية

وأمير المؤمنين (ع) أول من صنف في دنيا المسلمين، ويحصي المؤرخون لسيرة الإمام (ع) عدداً من مؤلفات الإمام وأعماله العلمية تأتي في طليعتها.

١ - جمع القرآن الكريم مرتبًا حسب النزول، وبين في ذات الوقت عامة، وخاصية، ومطلقة، ومقيده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، وع زائمه ورخصه، وستنه، وآدابه^(١). كما أشار الإمام (ع) إلى أسباب النزول لآيات الكتاب العزيز، حتى لقد قال ابن سيرين: لو أصبحت ذلك الكتاب لكان فيه العلم^(٢).

وجمع الإمام (ع) للقرآن الكريم على النمط المذكور إنما هو للتفسير أقرب منه للجمع الخالص، فقد أودع عمله ذلك علمًا كثيراً، الأمة في ميسى الحاجة إلى مثله.

كما أن أمير المؤمنين (ع) قد تفرغ للعمل الرسالي الكبير، بعد حادثة السقيفة وما تم خضُّ عنها من استخلاف أبي بكر، فعكف (ع)

(١) و(٢) المراجعات / السيد عبد الحسين شرف الدين مراجعة (١١٠) ص ٣٢٤.

على إنجاز المهمة التاريخية في تدوين القرآن في مصحف واحد، ولقد روى عنه بهذا الصدد قوله:

- «لما قبض رسول الله (ص) أقسمت أن لا أضع ردائی على ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائی حتى جمعت القرآن»^(١). وبمقدور المرء أن يقدر قيمة ذلك العمل إذا وضع نصب عينيه ما يحظى به القرآن الكريم من قيمة عظمى في دنيا المسلمين من الوجهة الفكرية والشرعية والحضارية.

٢. مصحف فاطمة:

ويبدو أن الإمام (ع) بادر - بعد إنجاز مهمة جمع القرآن إلى تأليف كتاب لفاطمة الزهراء (ع) صار يعرف عند أبنائها بمصحف فاطمة، وكان يتضمن مواعظ وحكمًا وأمثالًا وعبرًا وأخبارًا وأفكارًا مستقبلية لتكون عونًا على التخفيف من الآلام التي اكتنفت حياة الزهراء (ع) بعد وفاة أبيها رسول الله (ص).

٣. الصحيفة:

وهي كتاب في الديات «وهي الأموال المفروضة في الجنائية على النفس أو الطرف أو الجرح أو نحو ذلك وتبثت الديمة في موارد الخطأ المحسن أو الشبيه بالعمد أو فيما لا يكون القصاص فيه أو لا يمكن . . .»^(٢).

وقد روى البخاري ومسلم من تلك الصحيفة، أوردها ابن سعد في كتابه الجامع، كما أكثر ابن حنبل الرواية عن هذه الصحيفة.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ «في المسابقة بالعلم» ج ٢ ص ٤١.

(٢) مبني تكملة المنهاج ج ٢ كتاب الديات / السيد أبو القاسم الخوئي.

٤ . الجامعة :

وهي في كتاب صحائف من الجلود، أملأه رسول الله (ص) على أمير المؤمنين (ع) وقد تضمن كل ما يحتاج إليه الناس من حلال وحرام، وقد جاء الكتاب مفصلاً لما جاء في كتاب الله من أحكام وأوامر ونواه.

وقد ورث الأئمة من أهل البيت (ع) هذا الكتاب كابراً عن كابر، وكانوا يطلقون عليه تارة إسم الجامعة، وتارة الصحيفة، وأخرى كتاب علي ، ورابعة الصحيفة العتيبة .

ووردت عن الصادقين (ع) عدة روايات تؤكد أهمية كتاب الجامعة، وكونه مرجعهم فيأخذ التشريع الإلهي ، وأنهم لا يحتاجون إلى الناس لوجود ذلك الكتاب، فمن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: «أن عندنا ما لا يحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتاجون إلينا، وأن عندنا كتاباً أملأه رسول الله (ص) وخطه علي (ع) صحيفة فيها كل حلال وحرام»^(١).

ويقول الإمام الصادق (ع) أيضاً يصف فيه الجامعة «تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرض الخدش»^(٢).

٥ . صحيفة الفرائض :

ويبدو أن هذه الصحيفة قد دون فيها الإمام (ع) قضاياه في المواريث أو غيرها من أبواب القضاء، ومن المرجح أن تكون هذه الصحيفة بعضاً من الجامعة^(٣)

(١) أصول الكافي ج ١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف، عا... (ع).

(٢) الأديم : الجلد .

الفالج : الجمل العظيم ذو السنامين .

والأرش : دبة الجراحات .

(٣) عقيدة الشيعة في الإمام الصادق / السيد حسن يوسف مكي العاملی ص ٦٥ .

٦- كتاب الجفر:

«وهو لغة جلد الماعز أو البعير أو الثور»:

وقد أطلق إسم الجفر على أحد أبواب العلم الذي دونه الإمام أمير المؤمنين (ع) من أملاء رسول الله (ص) على جلد، ويبعد أن كتاب الجفر غير الجامعة من ناحية الفكر الذي يتضمنه، فالجفر كما تفيد روايات الأئمة من أهل البيت (ع) ينطوي على حوادث المستقبل، وصحف الأنبياء السابقين والكتب المنزلة قبل القرآن الكريم^(١).

وللإمام علي (ع) تصانيف أخرى وذكراً المؤرخون ككتاب زكاة النعم، وكتاب في أبواب الفقه، وكتاب في علوم القرآن وغيرها^(٢).

* * *

المصنفات في تراث الإمام الفكري:

وبالرغم من أن الإمام (ع) قد دون عدداً من المؤلفات العظيمة فإنه يبدو أن مؤلفاته قد انصبت على ما قضاها من حفظ الرسالة الإلهية وتوضيح معالمها للأجيال من خلال شرح القرآن الكريم، وتبيان بعض مقاصده، أو تحديد بعض أبواب الفقه الإسلامي، أما آراؤه وأفكاره الأخرى التي تحتل مركز الريادة في الفكر الإسلامي، والتي جاءت انعكاساً للرسالة الإلهية على صفة ذهنه وعقله، فكانت خطباً ومناقشات وحكماءً ومواعظ وتوجيهات ونحوها من أدوات التعبير عن ماهية الرسالة، فإن الإمام (ع) لم يتصد لجمعها في تصانيف محددة ومن المؤكد أن يكون جزء كبير منها قد اندرس بيد أن بعضها من آرائه وأفكاره قد حظي بالتدوين

(١) يراجع أصول الكافي ج ١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة (ع) وعقيدة الشيعة في الإمام الصادق ص ٦٦.

(٢) أعيان الشيعة ج ٣ ق ٢ باب «مؤلفات أمير المؤمنين (ع)».

بعد زمن طويل من وفاة الإمام (ع) ومن المرجح أن يمثل ذلك البعض نسبة جد قليلة من عطائه الفكري العظيم عبر عمره الشريف.

فقد جمع العلماء بعض ما خلفه الإمام (ع) من مبادئ ومفاهيم في مؤلفات عديدة نذكر منها:

١ - نهج البلاغة، جمعه الشريف أبو الحسن الرضي ابن الحسين الموسوي ، المتوفي سنة ٤٠٤ هـ ويشتمل الكتاب على ما اختاره الشريف من خطب الإمام (ع) وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه ، وقد اهتم بالكتاب المذكور جل العلماء والمفكرين ورجال الأدب قراءة واستيعاباً وشرحها ، حتى بلغت شروحه خمسين شرحاً ومن أشهر الشراح للنهج : أبو الحسن البهقي ، والإمام فخر الدين الرازي ، والقطب الرواندي ، ومحمد ميثم البحرياني ، وعز الدين بن أبي الحميد المدائني ، وغيرهم .

ولقد انطوى نهج البلاغة على روائع في الفكر بشتى شعبه ومناحيه : في العقائد والأخلاق ونظام الحكم وطبيعة المجتمع وعلاقة الإنسان بالله تعالى ونحو ذلك من أبواب .

وهو إلى جانب ذلك جاء آية في الأدب الإنساني الرفيع الذي عز نظيره في أدب اللغة العربية دقة وعمقاً وتصويراً .

٢ - مسنده الذي جمعه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفي سنة ٣٠٣ هـ وأسماه مسنداً علي ، وقد ضمته بعض ما أثر عن الإمام (ع) من أحاديث وروايات عن رسول الله (ص) .

٣ - غرر الحكم ودرر الكلم ، جمعه عبد الواحد بن محمد الأ müdّي ، وهو يشتمل على طائفة من حكم الإمام (ع) القصيرة ويقارب في حجمه نهج البلاغة .

٤ - مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب جمعه أبو

- إسحاق الوطواط الأنصاري ويحتوي على طائفة من حكم الإمام (ع).
- ٥ - مائة كلمة جمعها الجاحظ.
- ٦ - نثر الالبي جمع أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن.
- ٧ - ما اشتمل عليه كتاب صفين لنصر بن مزاحم من خطب الإمام (ع) وكتبه.
- ٨ - جنة الأسماء. شرحه الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ.
- ٩ - مأثر عنه من الأدعية والمناجاة قد طبع بعضه باسم الصنحيف العلوية. جمعها عبد الله بن صالح السماهيجي.
- ١٠ - قلائد الحكم وفرائد الكلم جمع القاضي أبي يوسف الإسفرايني، وغير ذلك من التصانيف^(١).

(١) راجع أعيان الشيعة ق ٢ ج ٣ ص ٢٧٤ ط ٣ - بيروت للسيد محسن الأمين.

أنباء المستقبل

والمقصود بها هنا ما تحدث به الإمام (ع) عن أمور مستقبلية وشيكة الوقوع بعد عصره، منها ما يختص بأفراد معينين، ومنها ما يتعلق بمسيرة الأمة المسلمة كمجموع.

وبطبيعة الحال إن ما طرحته الإمام (ع) من هذا القبيل كان قد تلقاه من رسول الله (ص) مباشرة، أو وعاه بنفسه بما أعطاهم الله من طاقة روحية هائلة تمنحه القدرة على استقراء المستقبل والإستشراف على حوادثه وقواته المؤثرة، والجوانب الإيجابية فيه والسلبية.

ولقد رأينا في بداية هذا الفصل كيف أن الإمام (ع) يعلن على المنير مراراً عن قدرته على كشف الكثير من أحداث المستقبل : «... لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا نباتكم بناعقها وقادتها، وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت موتاً...»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٦ / والبحارج ٤٠ ص ١٣٠ عن المنهج.

وإذا تبعنا الفكر المستقبلي الذي حفظته لنا سيرة أمير المؤمنين (ع) وجدناه - بالرغم من قلته بالقياس إلى غيره من أبواب فكر الإمام (ع) - آية على عظمة الإمام (ع) وسمو كيانه الروحي الذي أهله لمعرفة الكثير من أسرار المستقبل بما فيها من متغيرات في دنيا الأفراد والجماعات.

وهذه جملة مما حفظ لنا المؤرخون في هذا المضمار:

١ - عن سويد بن غفلة أن علياً (ع) خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره، فقال:

- يا أمير المؤمنين، إني مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له، فقال (ع):

- والله ما مات، ولا يموت حتى يقود جيش ضلاله صاحب لوائه حبيب بن حمار.

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال:

- يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمار وإنني لك شيعة ومحب، فقال: أنت حبيب بن حمار؟ قال: نعم.

قال له ثانية: والله إنك لحبيب بن حمار؟

قال: أي والله!

قال (ع): أما والله إنك لحماملها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب، « وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة » قال ثابت الشمالي - الذي روى الحديث عن سويد بن غفلة.

- فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى (حرب) الحسين بن علي (عليه السلام) وجعل خالد بن عرفطة على

مقدمته، وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل^(١).

٢ - عن إسماعيل بن رجاء قال:

قام أعشى باهلة - وهو غلام يومئذ حديث - إلى علي عليه السلام
وهو يخطب ويدرك الملاحم، فقال:

يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!

فقال علي (ع) : إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام ، فرماك الله بغلام
ثقيف، ثم سكت، فقام رجال، فقالوا:

- ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال:

- غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك الله حرمة إلا انتهكها، يضرب
عنق هذا الغلام بسيفه ، فقالوا:

- كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال:

- عشرين إن بلغها ، قالوا:

- فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال:

- بل يموت حتف أنفه بداء البطن ، يثقب سريره لكثره ما يخرج من
جوفه .

قال إسماعيل بن رجاء - راوي الحديث - فوالله - لقد رأيت بعيني
أعشى باهلة ، أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج (بن يوسف الثقفي)
فقرعه ، ووبخه واستنشده شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على

(١) شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ٢، ص ٢٨٧.

الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس^(١).

٣ - عن شمير بن سدير الأزدي قال:

قال علي (ع) لعمرو بن الحمق الخزاعي.

«يا عمرو إنك لم قتول بعدي وأن رأسك لمنقول وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك! أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك.

قال الأزدي - راوي الحديث - فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق الخزاعي في خلافة معاوية في بعض أحياط العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزانة، فأسلموه، فقتل، وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد^(٢).

٤ - أخبار الإمام (ع) عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب منها لحيته بسيف ابن ملجم المرادي.

٥ - أخباره بامتلاكه معاوية لأمر المسلمين بعده.

٦ - أخباره عن قتل الإمام الحسين (ع) في كربلاء.

٧ - أخباره عن الحجاج بن يوسف الثقفي وما يكون من فعله.

٨ - أخباره عن حركة عبد الله بن الزبير وفشلها وقتله.

٩ - وعن هلاك البصرة بالغرق مرة ويسطورة الزنج عليها أخرى.

١٠ - وأخباره عن مقتل محمد صاحب النفس الزكية وأخيه إبراهيم

(١) نفس المصدر ص ٢٨٩ .

أعشى باهلة: عامر بن العارث.

(٢) نفس المصدر ص ٢٩٠ .

بعد ثورتهم على العباسين في عهد أبي جعفر المنصور.

١١ - وعن قيام الدولة العلوية في المغرب، ودولة بنى بويه في العراق.

١٢ - أخباره عبد الله بن العباس عن انتقال الحكم إلى أولاده وقيام الحكم العباسي.

١٣ - وعن خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه وقيام دولة الإسلام المباركة^(١).

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن نهج البلاغة ينطوي على الكثير من النصوص التي تناول الإمام (ع) فيها الحديث عن أمور مستقبلية، وقعت بعد عصره، وأخرى تعيش طرفاً منها^(٢).

(١) دراسات في نهج البلاغة - محمد مهدي شمس الدين ط ٢ . ١٩٧٢ ص ١٨٦ وما بعدها. وللاستزادة يراجع فصل المغيبات من نفس الكتاب ج ٢ ص ٢٨٦ وما بعدها من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ١ سنة ١٩٥٩.

(٢) مثل خطب الملاحم رقم ١٠١ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٨٧ والخطب التي تتحدث عن آخر الزمان مثل ١٠٨ ، ١٠٣ ، ١٦٦ .
الملاحم: الواقع الغظيمة.

طرف من مواعظ الإمام

وللإمام باع طويل في طرح الموعظ البليغة التي تحمل الحجج البالغة، فتهز السامع والقاريء، وتترك أثراً عظيماً في النفس.

ومالموعظة عند علي (ع) تحمل مفاهيم وعطاء ثرآ، تحدد للمسلم طريقة إلى الله وأساليب تفاعله مع رسالة الله تعالى ومع الناس من حوله.

وفضلاً عما حمله نهج البلاغة من مواعظ لأمير المؤمنين (ع) فإن كتب الوعظ والإرشاد والتوجيه الإسلامي لا يكاد يخلو منها كتاب من ذكر بعض من مواعظ الإمام (ع).

ونذكر هنا طرفاً من مواعظه التي ضمنها نهج البلاغة:

«أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل.

أيها الناس: إنما يجمع الناس الرضى والسطح، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضى، فقال سبحانه: «فعقروها، فأصبحوا نادمين» فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار البنكة المحمة في الأرض الخوارة.

أيها الناس، من سلك الطريق الواضح ورد الماء، ومن خالف وقع في التيه»^(١).

- «أيها الناس، إنما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذلوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أجdanكم، ففيها اختبرتم، ولغيرها خلقتم. إن المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟ لله آباؤكم: فقدموا بعضاً يكن لكم فرضاً، ولا تخلفوا كلاً فيكون فرضاً عليكم»^(٢).

- «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، التي هي الزاد وبها المعاد: زاد لمبلغ، ومعاد منجح، دعا إليها أسمع داع، ووعاها خير واع، فأسمع داعيها، وفاز واعيها.

عبد الله إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسررت ليليهم، وأظلمت هواجرهم فأخذوا الراحة بالنصب، والري بالظلماء، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا

(١) رقم النص ٢٠١ (باب الخطب).

السخط: الغضب.

ثمود: قوم نبي الله صالح (ع).

خارت: من الخوار صوت الثور، أي حين خسف الله أرضهم كان لها صوت كصوت الثور.

السكة المحمامة: حديدة المحرات.

الأرض المخواربة: اللينة الهشة.

(٢) نفس المصدر رقم ٢٠٣.

مجاز: معر إلى الآخرة.

الأمل، فلاحظوا الأجل...»^(١).

(١) نفس المصدر ص ١١٤.

وعاها: فهمها وحفظها.

حمت: منعت، يعني التقوى منعت الأولياء من ارتكاب الجرائم.

الهواجر: الأيام الشديدة الحر ومع شدة حرارتها فقد أظمأ المتقون أنفسهم فيها صوماً.

النصب: التعب.

قبس من حكم الإمام

ونختم هذا الفصل بإيراد إضماماً من حكم أمير المؤمنين (ع) إتماماً للفائدة:

- ١ - إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محسن نفسه.
- ٢ - أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.
- ٣ - من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.
- ٤ - ما أضر أحد شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.
- ٥ - فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها.
- ٦ - قيمة كل أمريء ما يحسنه.
- ٧ - قال عليه السلام يصف الغوغاء: «هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا».

٨ - عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار.

٩ - أربع لو ضربتم فيهن أكباد الإبل، لكان ذلك يسيرأ: لا يرجون أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيي أن يقول لا أعلم إذا هو لم يعلم، ولا يستكبر أن يتعلم إذا لم يعلم.

١٠ - اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم.

١١ - الثناء بأكثر من الإستحقاق ملق^(١). والتصير عن الإستحقاق في أحسد.

١٢ - عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضائق حلق البلاء يكون الرخاء.

١٣ - من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

١٤ - الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من برحة الله ولم يؤسهم من روح الله^(٢). ولم يؤمنهم من مكر الله.

١٥ - رب عالم قد قتل جهله، وعلمه معه لا ينفعه.

١٦ - عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينيك.

١٧ - لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث:

(١) ملق: التملق.

العي: العجز.

(٢) روح الله: لطفه ورأفته.

مكر الله: أخلده للعبد بالعقاب دون شعوره.

نكبته، وخييته، ووفاته.

١٨ - الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجموا إلى ركن وثيق.

١٩ - الناس أعداء ما جهلو.

٢٠ - من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها^(١).

وهكذا نصل إلى نهاية المطاف في حديثنا عن المقومات العامة لشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفقنا الله تعالى للأخذ بنهجه في الفكر والعمل أنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

(تم الكتاب بعونه تعالى)

(١) للمزيد راجع باب المختار من حكم الإمام (ع) في نهج البلاغة، وتحف العقول لابن شعبة الحراني وج ١٩ وج ٢٠ من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وغيرها.

الفهرس

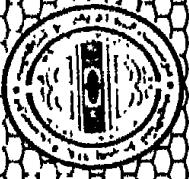
الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٩	القسم الأول
١١	* بزوج الفجر
١٣	في كفالة رسول الله
١٤	حصيلة الأعداد النبوية
١٦	في كنف الوحي
١٩	* أول المؤمنين
٢١	أول الدعاة
٢٢	مواجهة الجاهلين
٢٤	أبو طالب يتصدى لأعداء الرسالة
٢٥	أبو طالب في الحصار مع رسول الله
٢٨	إلى دار الإسلام
٣٠	في فراش رسول الله
٣١	الانتظار في قبا
٣٣	* مهامات ما بعد الهجرة
٣٤	بأس في الحرب

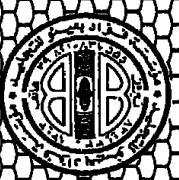
الموضوع		الصفحة
١ - في معركة بدر	٣٤	٣٤
٣ - في معركة أحد	٣٥	٣٥
٣ - في غزوة الأحزاب	٣٦	٣٦
٤ - في غزوة خيبر	٣٨	٣٨
٥ - في غزوة حنين	٣٨	٣٨
* علي في منظار الإسلام	٤١	٤١
من فضائل الإمام (ع)	٤٥	٤٥
* علي في عهد الخلفاء	٤٩	٤٩
١ - في خلافة أبي بكر	٥٢	٥٢
ب - في خلافة عمر بن الخطاب	٥٤	٥٤
ج - في خلافة عثمان بن عفان	٥٨	٥٨
 القسم الثاني		 ٦٣
مقدمة	٦٥	٦٥
* الإمام الخليفة	٦٧	٦٧
* منهاج الإصلاح	٧١	٧١
* سياسة رد الفعل	٨٩	٨٩
* حرب البصرة	٩٧	٩٧
* حرب صفين	١٠٢	١٠٢
* حرب النهروان	١٠٩	١٠٩
* في ذمة الله	١١٣	١١٣
 القسم الثالث		 ١١٩
توطئة	١٢١	١٢١
* شخصية علي (ع) من خلال عناصرها الأساسية	١٣٢	١٣٢
● - علاقة الإمام (ع) بالله تعالى	١٣٥	١٣٥
● - شواهد من عبادة أمير المؤمنين (ع)	١٣٩	١٣٩
● - المنهج العبادي في خطوطه الأساسية	١٤٧	١٤٧
* الأخلاق الاجتماعية	١٦١	١٦١

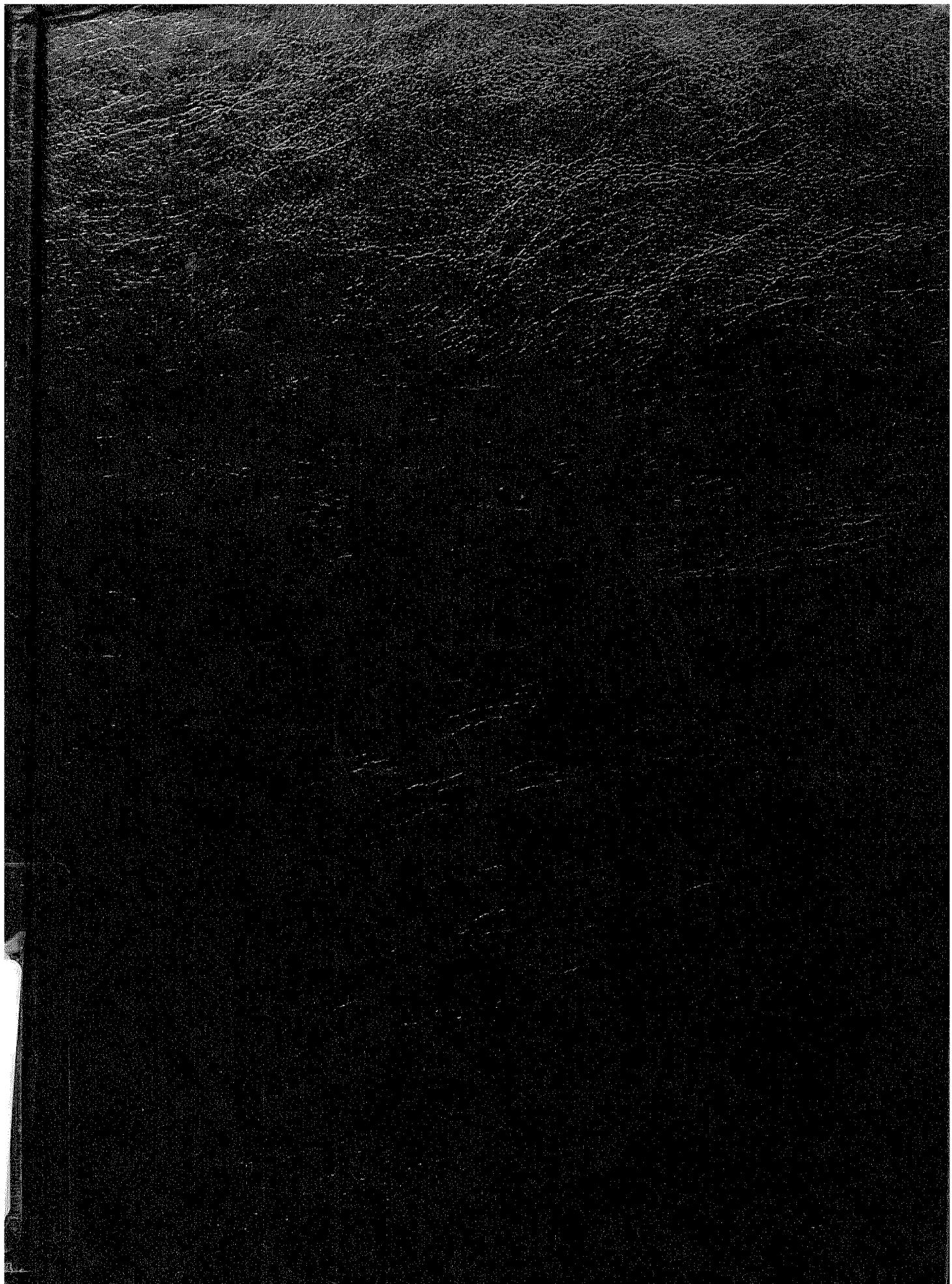
الموضوع	الصفحة
أولاً : إشاعة العدل الاجتماعي بين الناس	١٦٦
ثانياً : تواضع الإمام	١٧٤
ثالثاً : حلم الإمام	١٧٩
رابعاً : التورع عن البغي	١٨٤
خامساً : شواهد من صبر الإمام	١٨٧
* في حقل المعرفة	١٩٥
● - صور من الفكر العقائدي	٢٠٧
● - صور من الفكر السياسي	٢١٥
● - مصنفات الإمام	٢١٩
● - طرق من مواعظ الإمام	٢٣١
● - قبس من حكم الإمام	٢٣٥
الفهرس	٢٣٩



General Organization of the Alexandria Library (GOAL,
Bibliotheca Alexandrina)







To: www.al-mostafa.com